

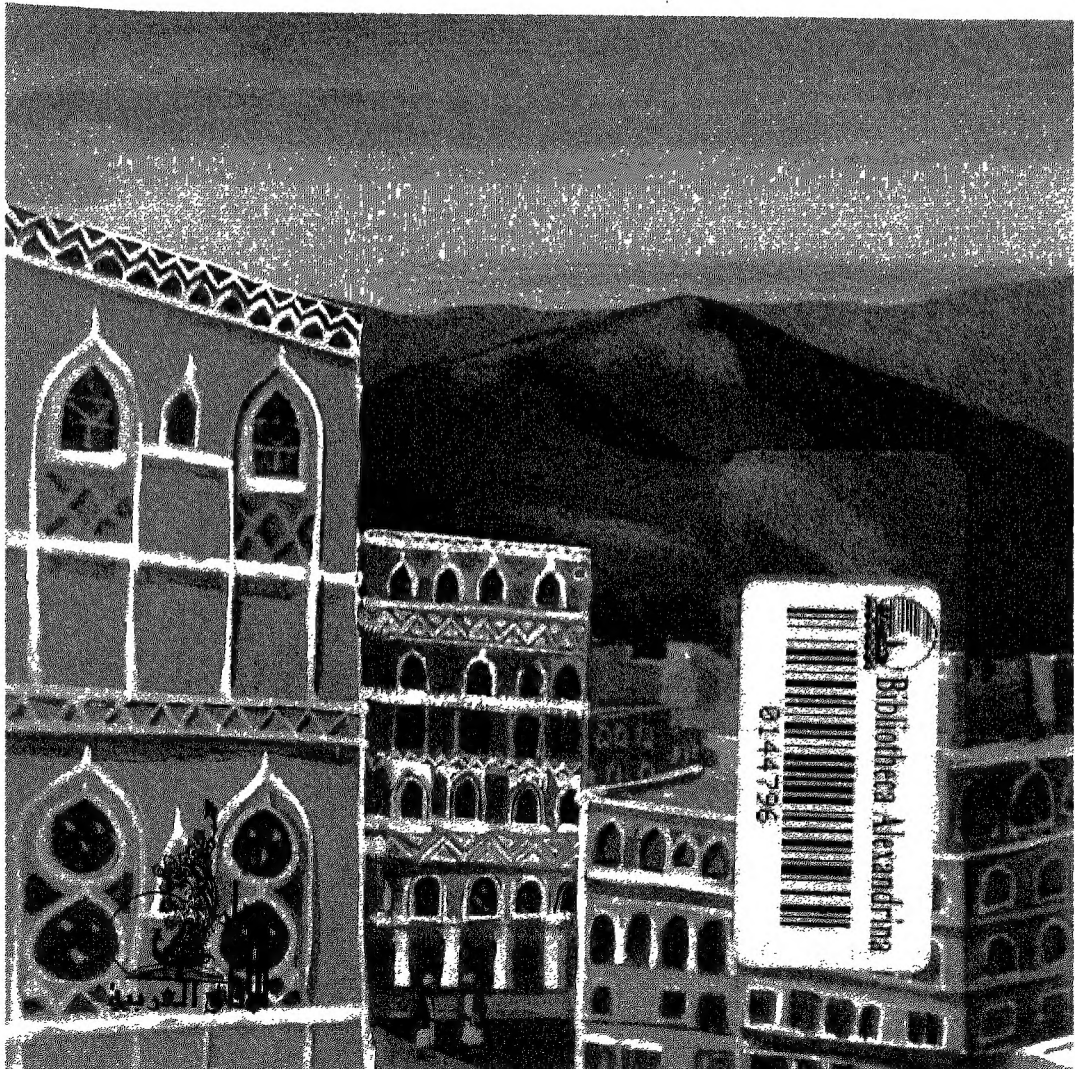
صُنْعَاءُ

تاريخها ومنازلها والأثرية

عبد الله عبد السلام الحداد

مُذُن
تراثية

٢



صناعات
تاريخها ومكاناتها الأثرية

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م
جميع الحقوق محفوظة



القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت
(من شارع الطيران) - مدينة نصر
تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ١٨٩٦ لسنة ١٩٩٩
الترقيم الدولي : 977-5727-40-5

صنعاء تاريخها ومناراتها الأثرية

تأليف

عبد الله عبد السلام صالح الحداد

مدرس مساعد - كلية الآداب جامعة صنعاء



مقدمة

تعتبر بلاد اليمن من أكثر البلدان حفاظا على تراثها الحضارى سواء ذلك التراث الذى يعود إلى عصور ما قبل الإسلام أو ذلك الذى نشأ فى العصر الإسلامى .

وتعد مدينة صنعاء المثل الأروع لمثل ذلك التراث الذى مازال شامخا بنيانه منذ نشأتها قبل الإسلام وحتى اليوم .

صنعاء التى مازالت تحتفظ وتحافظ على أصالتها المعمارية ومقوماتها الحضارية الفريدة التى قلما توجد فى بلد آخر من بلدان العالم القديم والجديد .

صنعاء عاصمة اليمن الموحد التى مازالت مدينتها القديمة تحتفظ بشوارعها الضيقة التى تطل عليها أسواقها المتخصصة من خلال تلك الحوانيت المفتوحة فى الطوابق الأرضية من المنازل والتى يجوبها الآلاف من المواطنين والسياح للترود بما تقع عليه أعينهم من بضائع أو لرؤية معالمها السياحية .

صنعاء المتحف المفتوح الغنى بمقتنياته الطبيعية : المعمارية والفنية : منازل، مساجده، سماره، شوارع، قمرياته ، شبابيكه ، حليه، قلاعه،

قصوره، مدارس، وفوق هذا وذاك مجتمعه المتميز الأصيل المتحضر، تشهد له في ذلك حضارته السبعية والمعينية والحَمِيرية والقُتبانِيَّة والأوسانيَّة وجماع ذلك كله حضارته الإسلاميَّة.

صنعاء التي كانت منسية من قبل العلماء والمفكرين ودارسى التاريخ والآثار والفنون والاجتماع أصبحت اليوم قبلة يؤمها كل من اراد معرفة البلاد العربية السعيدة.

ولأن صنعاء المدينة الحبلَى بالآثار الإسلاميَّة التي اعشقها عشق قيس لليلَى، واحبها حب الإبن لأمه، كان لزاماً وواجباً على أن أرد لها بعضاً من جميلها، وأن ابرز بعضاً من جمالها المتمثل في تراثها المعماري الأصيل الذى عشقه ومازال يعشقه كل من رآه ويراها، وعبروا عن ذلك العشق بالعديد من المؤلفات والأبحاث والمقالات التي تناولت تاريخ وأثار وحضارة صنعاء، مدينة أزال التي أسسها سام بن نوح.

واحقاقاً للحق فقد كانت استفادتى كبيرة بما كتب عن مدينة صنعاء وكانت الاستفادة أكبر بالتخطيطات المعمارية لمنازل صنعاء - موضوع هذا الكتاب - والتي نشرها العديد من العلماء من أمثال :

العالم سرجنت وكتابه Sana'a An Arabian Islamic city الذى صدر سنة ١٩٨٣ وكذلك مؤلفات كل من راتيانز وفون فيسمات الذى صدر سنة ١٩٢٩م تحت عنوان : Sana'a Eiuue Sud Arabisiche Stadt Land وكذلك مؤلفات العالم رونالد لوكوك .. وأهمها : The Old Wollid city of San'a والذى صدر فى بلجيكا سنة ١٩٨٧م. وكذلك كتاب : L'art du boisa sanaa للمؤلفه : Gullemette Paul

. Bonnenfant

إلى جانب العديد من الكتب التاريخية القديمة مثل : كتاب الأكليل وكتاب صفة جزيرة العرب للهمداني، وتاريخ مدينة صنعاء للرازي، وكذلك رحلات ابن بطوطة وابن الجاور وغيرها من الكتب العربية الحديثة مثل كتاب مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية للدكتور- مصطفى شبيحة وكتاب الفنون الزخرفية اليمنية للدكتور / ربيع حامد خليفة وكذلك العديد من الكتب والمقالات الأخرى التي نشرها علماء يمنيون وعرب وأجانب مما أمكنني الحصول عليها.

ولقد حاولت في هذا الكتاب اتباع أسلوب المنهج العلمي في دراسة منازل صنعاء وعنوانت الكتاب : « صنعاء تاريخها ومنازلها الأثرية » وقسمته إلى أربعة فصول ومقدمة وخاتمة وضعت فيه خلاصة الجهد والسهر.

تناولت في الفصل الأول تاريخ مدينة صنعاء وموقعها الجغرافي وتخطيط المدينة وفي الفصل الثاني وصفت المنازل من الداخل والخارج. وفي الفصل الثالث شرحت أهم العناصر المعمارية التي تمتاز بها منازل صنعاء، وفي الفصل الرابع شرحت أهم التحف التي مازالت تحتفظ بها منازل صنعاء سواء الجصية أو الخشبية، ولخصت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها.

كما أرفقت الكتاب بملحق خاص بالأشكال واللوحات التوضيحية، تليها قائمة المصادر والمراجع.

الفصل الأول : نشأة مدينة صنعاء

أولا : تاريخ مدينة صنعاء

ثانيا : الموقع الجغرافى وأثره على بناء المنازل

ثالثا : تخطيط مدينة صنعاء

أولا : تاريخ مدينة صنعاء

صنعاء حاضرة اليمن الخضراء وعاصمة البلاد السعيدة كما أسماها مؤرخوا اليونان : وعروس الجزيرة العربية والجوهرة اليتيمة في بلاد العرب، واحدى جنان الأرض كما ذكر لسان اليمن الهمداني وهى أول مدينة اختطت بعد طوفان نوح عليه السلام وسميت باسم مدينة سام نسبة إلى سام بن نوح بانبها (١) كما تعرف أيضا باسم أزال نسبة إلى أزال بن يقطن بن العبير بن عابر بن شالح حفيد سام بن نوح الذى يعتقد كثير من المؤرخين القدامى كالهمداني ونشوان بن سعيد الحميرى وابن الكلبي انه بناها، ولازال اسم أزال معروفا حتى اليوم ومما يؤكد هذه التسمية أنها وردت فى التوراة بهذا الاسم (أزال) (٢).

-
- (١) ابن الجاور : جمال الدين أبى الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقى : صفة بلاد اليمن، ومكة وبعض الحجاز المسماه تاريخ المستبصر، تصحيح أوسكر لومقرين، منشورات المدينة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، صفحة ١٧٩
- الرازى، أحمد عبدالله، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق الدكتور- حسين عبدالله العمرى، دار الفكر، بيروت - دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م صفحة ٧٦.
- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، الاكليل، الجزء الثانى، تحقيق محمد بن على الاكوع، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، صفحة ٣٤ - ٣٦.
- (٢) عبد الرحمن الحداد (د) : التراث المعمارى فى صنعاء القديمة، برنامج للحماية والتحسين، مجلة دراسات بحثية، العدد ٢٧، يناير - مارس ١٩٨٧م، جمادى الاولى - رجب ١٤٠٨هـ، صفحة ١٥٥.

وأما تسميتها باسم صنعاء فيرجع إلى سنة ٧٠م في عهد الملك أمر بن كرب أيل وتار يهنعم ملك سبأ وذو ريدان حيث ورد اسمها في النقوش التي تعود إلى عصر هذا الملك باسم (هجرن / صنعو) باستبدال الألف واوا كما هي العادة في كتابة اليمن المعروفة بالخط المسند أما كلمة (هجرن) فتعني المدينة المقدسة المهجرة التي يحرم الاعتداء فيها على أحد ولو كان عدوا.

كما ورد اسم صنعاء بعد ذلك على نقوش من أيام الملك الحميري ذمار على يهضر سنة ٩٠م، ثم تواتر ذكرها بعد ذلك في النقوش مما يدل على ان اسم صنعاء عرف منذ بداية التاريخ الميلادي (١).

أما عن نشأتها وتطورها العمراني فيعتقد الكثير من المؤرخين أنها بدأت على صورة منزل ثم قرية ثم مدينة (٢) بينما يعتقد (لوكون) أن مدينة صنعاء بدأت في تكوينها الأول عبارة عن محطة تجارية على طريق القوافل مما ساعد على نموها وازدهارها (٣).

وأيا كانت النشأة الأولى فإن صنعاء لعبت بعد ذلك دورا كبيرا في السياسة اليمنية القديمة وخاصة أثناء النزاع على عرش سبأ بين ملوك وأمراء الدولة السبئية في أواخر عهدها وبين ملوك الدولة الحميرية الناشئة حيث كانت صنعاء في هذه الفترة عاصمة ثانية للدولة السبئية بعد

(١) يوسف محمد عبدالله (د) : صنعاء المدينة العربية الإسلامية، نبذة عن تاريخها ودعوة إلى صيانتها

مجلة الأكليل، العدد الثاني ١٩٨٦م، صفحة ١٨٤ - ١٨٦.

(٢) عبدالرحمن الحداد (د) : المرجع السابق ص ١٥٥.

(٣) Lewcock, Ronald: The old wolled city of Saa à, Second imprasson, (٣) 1987, Unesco, Printed in Belgium, P. 19.

عاصمتها الأولى مأرب فكانت صنعاء بمثابة نقطة الإنطلاق للجيش السبئية ضد الجيوش الحميرية وأن كان النصر في الآخر حليف الدولة الحميرية التي اتخذت من صنعاء مقراً للإنطلاق باتجاه الشرق والشمال لاختضاع بقايا المناطق التي كانت مازالت تحت أيدي أمراء الدولة السبئية، وعندما سيطرت الدولة الحميرية على كل أقاليم اليمن اتخذت مدينة ظفار عاصمة لها ومع ذلك بقيت لصنعاء مكانتها السابقة طوال عصر الدولة الحميرية وملوكها الذي كان آخرهم (يوسف أسار يثار) المعروف باسم ذي نواس والذي اتخذ من صنعاء مقراً للمملكة ومنها انطلق لمواجهة الأحباش في نجران وظفار وتهامة، ولكن جهوده باءت بالفشل فقد تمكن الأحباش من هزيمته وواصلوا تقدمهم نحو صنعاء واحتلوها واتخذها (أبرهة الحبشي) عاصمة لليمن^(١) وبنى فيها كنيسة القليس التي أراد أن يصرف العرب إلى عبادتها بدلا من الكعبة في مكة المكرمة، وعندما رفض العرب توجه نحو مكة ليهدم الكعبة فأرسل الله عليهم ﴿طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾^(٢).

ولما تمكن سيف بن ذي يزن من طرد الأحباش من اليمن بمساعدة الفرس اتخذ صنعاء عاصمة له ولكن الفرس انقلبوا عليه وقتلوه وتولوا حكم اليمن وتزاوجوا مع أهل اليمن ولذلك عرف المولودون نتيجة هذا التزاوج باسم الابناء باعتبارهم ليسوا من اليمنيين وليسوا من الفرس كذلك وكان آخر حكام اليمن من الابناء هو (باذان) الذي استجاب مع أهل

(١) عبد الرحمن الحداد (د) : المرجع السابق، صفحة ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) سورة الفيل، الآية ٣ - ٥.

اليمن لدعوة الرسول ﷺ سنة ٦٢٧هـ^(١) ودخلوا في الدين الإسلامى، فعينه الرسول ﷺ واليا على صنعاء، وفى نفس الوقت أرسل الدعوة إلى اليمن من الصحابة لكى ينشروا الدين الإسلامى فى كل أقاليمها أمثال وبر بن يحيى النصرارى ومعاذ بن جبل وأبو موسى الأشعرى وعلى بن أبى طالب وغيرهم من الصحابة الذين انطلقوا يدعون أهل اليمن إلى الإسلام حتى قيل أن قبيلة همدان أسلمت عن بكرة أبيها فى يوم واحد على يد على بن أبى طالب كرم الله وجهه وفى ذلك ينسب إليه شعرا يمدح فيه قبيلة همدان منها:

ولو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان أدخلوا بسلام

ثم عين الرسول ﷺ بعد ذلك نوابا عنه فى اليمن، وظلت اليمن طوال عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ثم فى عهد الدولة الأموية والدولة العباسية عاصمة لبلاد اليمن وأن قامت بجانبها عواصم أخرى للولايات المتعددة والدويلات المستقلة^(٢) ولم تفقد كيائها كعاصمة إلا فى عهد الدولة الأيوبية التى اتخذت من تعز عاصمة لليمن وتبعهم فى ذلك الرسوليين.

وقام ولاية الرسول ﷺ ثم ولاية الخلفاء الراشدين والدولة الأموية وعمال الدولة العباسية ببناء الكثير من المساجد والدور والقصور فى مدينة صنعاء ومن أشهرها الجامع الكبير الذى بنى سنة ٦٢٧هـ/م على يد وبر بن يحيى النصرارى وكذلك جبانة صنعاء (مصلى العيدين) على يد

(١) عبد الرحمن الحداد (د) : المرجع السابق، صفحة ١٥٧.

(٢) أحمد شلبى (د) : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، الجزء السابع، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م، صفحة ٣١٩.

فروة بن مسيك المرادى والذى بنى أيضاً جامعته المعروف باسمه حتى اليوم بجوار الجبانه وكذلك بنيت مساجد أخرى مثل جامع الشهيد بن صنعاء وغيرها من المساجد التى كانت تجدد أو ترمم من حين لآخر.

ولما بدأت الخلافة العباسية تضعف بسبب القتال بين ولدى هارون الرشيد - الأمين والمأمون - وانتصار المأمون وبالتالى تدهور الحالة الاقتصادية وتغلب ولاية الأطراف على ولاياتهم استغل ولاية اليمن ذلك وأعلنوا استقلالهم عن الخلافة العباسية وأن بقى الولاء لها اسمياً ومن الدول التى استقلت فى اليمن : دولة بنى زياد فى زبيد التى حكمت من سنة ٢٠٤ - ٤٠٣ هـ. ودولة بنى يعفر فى شبام كوكبان ثم فى صنعاء والتى حكمت من سنة ٢٢٥ - ٣٨٧ كما بدأت الدعوة الزيدية تتغلغل فى اليمن وخاصة فى المناطق الشمالية فى مدينة صعده حيث قام أهلها باستدعاء الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين إلى صعده ونصبوه أماما عليهم سنة ٢٨٨ - ٢٩٩ هـ وهنا كانت نشأة الدولة الزيدية - اتباع الإمام زيد بن على بن أبى طالب - فى اليمن والتى ظلت تخبوا وتنهض طوال ثلاثة عشرين سنة فى أواخر عهدها على معظم أجزاء اليمن وقد انتهت سنة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م.

ودخلت الدول الثلاث - الزيدية واليعفرية والزيدية - فى صراع مرير كل منها تطمع فى السيطرة على الأخرى ، وأثناء هذا الصراع برز إلى الوجود فجأة الزعيم القرمطى على بن الفضل الذى تمكن من الاستيلاء على صنعاء من أيدي بنى يعفر سنة ٢٩٣ هـ ولكن بنى يعفر استردوها منه مرة أخرى إلا أن ابن الفضل تمكن من استردادها سنة ٢٩٩ هـ وظلت بيده حتى سنة ٣٠٣ هـ واجبر بنى يعفر على إعلان الولاء والطاعة له والخطبة باسمه بل وضرب السكة باسمه بحيث أصبح بنو يعفر وكانهم ولاية على صنعاء من قبل على بن الفضل.

وبعد مقتل على بن الفضل سنة ٣٠٣ هـ استعاد بنو يعفر مدينة صنعاء بقيادة أسعد بن أبي يعفر الذى ظل يحكم الدولة اليعفرية حتى وفاته سنة ٣٣٢ هـ وبموته خلفه حكام ضعاف تنازعوا فيما بينهم وظلوا كذلك حتى سنة ٣٨٧ هـ حيث عم الخراب مدينة صنعاء حتى سنة ٤٣٩ هـ بسبب السيطرة القبلية عليها حتى تمكن مؤسس الدولة الصليحية (على بن محمد الصليحي) من الاستيلاء على صنعاء وبعد وفاة على بن محمد الصليحي خلفه ابنه المكرم أحمد الذى نقل عاصمة الدولة من صنعاء إلى مدينة ذى جبله وعين واليا من قبله على صنعاء وقد قامت الدولة الصليحية بتجديد الجامع الكبير بصنعاء، ولما توفى المكرم خلفته زوجته السيدة بنت أحمد الصليحي حتى وفاتها سنة ٥٣٢ هـ وفى أواخر أيامها فوضت حكم الدولة إلى أتباعها بنو زريع فى عدن^(١) إلا أن والى الدولة الصليحية على صنعاء حاتم الهمداني استغل مرضها وعجزها عن إدارة البلاد وأعلن استقلاله عن الدولة الصليحية وتأسيس دولة بنى حاتم ٥٣٣ - ٥٦٩ هـ فى صنعاء، وقد تصادف قيام دولة بنى حاتم فى صنعاء قيام الإمام أحمد بن سليمان بأمر الامامة سنة ٥٣٢ هـ والذى كان طموحا شجاعا قويا استطاع أن يعد نفوذه حتى شمل صعدة ولحجران والجوف وبلاد الظاهر شمال صنعاء ثم توجه بجيشه إلى صنعاء واستولى عليها سنة ٥٤٥ هـ إلا أن بنى حاتم تمكنوا من استعادتها من أيدي الإمام بل ويستولوا على صعدة وبلاد الظاهر والجوف انتقاما من الإمام أحمد بن سليمان.

ومع ظهور قوة بنى حاتم فى صنعاء ظهرت قوة أخرى فى تهامة تتمثل

(١) أحمد شلبى (د) : المرجع السابق، ص ٢٨٤ - ٤٠٢.

فى على بن مهدى الذى قضى على دولة بنى نجاح سنة ٥٥٤هـ^(١)، كما استولى على عدن سنة ٥٦٨هـ وقد تصادف قيام دولة بنى مهدى بداية التحرك الأيوبى للاستيلاء على اليمن وضمها إلى الدولة الأيوبية فى مصر والشام حيث توجه تورانشاه الأيوبى بأمر أخيه الناصر صلاح الدين سنة ٥٦٩هـ واستولى على زبيد وقضى على دولة بنى مهدى فى نفس السنة وفيها أيضا قضى على دولة بنى زريع فى عدن وفى سنة ٥٧٠هـ قضى على دولة بنى حاتم فى صنعاء ثم عاد إلى زبيد وتوجه إلى مصر فى مطلع سنة ٥٧١هـ^(٢).

وقد اتخذ الأيوبيين من مدينة تعز عاصمة لهم وظلوا يحكمون اليمن حتى سنة ٦٢٦هـ ومن أهم أعمالهم بناء سور حول تعز وتشيد قلعة القاهرة فيها كما اعدوا بناء سور مدينة صنعاء الذى هدمه بنو حاتم قبل استيلاء الأيوبيين عليها.

وكان آخر حكام الدولة الأيوبية فى اليمن هو الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل والذى حكم اليمن حتى سنة ٦٢٦هـ حيث أراد العودة إلى مصر فجهز بأحماله وتوجه نحوها عن طريق البر بعد ان عين نور الدين عمر بن على بن رسول نائبا عنه فى بلاد اليمن إلا أن المسعود توفى فى مكة وهو فى طريقه إلى مصر.

وموت الملك المسعود الأيوبى أخذ نور الدين عمر بن على بن رسول

(١) دولة بنى نجاح قضت على دولة بنى زياد سنة ٤٠٣هـ وحكمت تهامة وعاصمتها زبيد حتى سنة ٥٥٤.

(٢) محمد عبد العال أحمد (د): الأيوبيون فى اليمن، مع مدخل حضارى فى تاريخ اليمن الإسلامى إلى عصرهم الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠م، صفحة ٩٧٠٥٧...

يمهد لقيام دولته والاستقلال بها عن الأيوبيين فاستولى على النواحي التي يسيطر عليها الأيوبيين وعزل ولايتهم بولاية من الموالين له وقام بضرب السكة باسمه وفي سنة ٦٢٨هـ وقيل سنة ٦٣٠هـ أعلن الاستقلال وخطب في المساجد باسمه واتخذ مدينة تعز عاصمة له (١).

وقد استولى بنى رسول على كل املاك الدولة الأيوبية ومنها صنعاء وظل الرسوليين يحكمون اليمن حتى سنة ٨٥٨هـ عندما تنازع ابناء البيت الرسولى وراثته العرش فاستغل عمالهم على عدن ورداع (بنو طاهر) ذلك النزاع وقضوا على الدولة الرسولية وأعلان قيام الدولة الطاهرية سنة ٨٥٨هـ والتي ظلت تحكم حتى سنة ٩٢٣هـ وقد اتخذ بنو طاهر من مدينة جبّين ثم مدينة المقرانه عاصمة لهم بينما كانت صنعاء قد استولى عليها الاثمة الزيديين فى أواخر عهد الدولة الرسولية لذلك لم يقيم بنو طاهر بمحاولة استرداد صنعاء فى أول الأمر نظرا لانشغالهم بتوحيد الجزء الجنوبي من اليمن ولما تمكنوا من توحيد اليمن توجه السلطان عامر بن طاهر نحو صنعاء بدعوة من أهلها للاستيلاء عليها بسبب ظلم الإمام الزيدى فيها ولما اقترب من صنعاء خرجت عليه قوات الإمام وتمكنت من قتله وبذلك أحجم بنو طاهر عن الاستيلاء على صنعاء.

ولما تولى السلطان عامر بن عبد الوهاب (٢) حكم الدولة الطاهرية جمع قواته واستولى على صنعاء سنة ٩١٠هـ وقبض على الإمام الزيدى محمد بن على الوشلى وأودعه السجن حتى مات ولكن الاثمة الزيديين

(١) أحمد شلبي (د): المرجع السابق، ص ٢٧٣ - ٢٨٤.

(٢) السلطان عامر بن عبد الوهاب: آخر ملوك الدولة الطاهرية، حكم من سنة ٨٩٤هـ إلى سنة ٩٢٣هـ وقتل على يد المماليك الجراكسة، ملوك مصر فى عهد السلطان الغورى.

ظلوا يتحينون الفرص للانتقام من السلطان عامر واسترداد صنعاء وقد واتتهم الفرصة عندما رفض السلطان عامر مد يد العون للحملات المملوكية المصرية لتطهير البحر الأحمر والمحيط الهندي من السيطرة البرتغالية فاتصل الأئمة بالمماليك واتفقوا على الخلاص من عامر بن عبد الوهاب وفعلا دخل المماليك اليمن وتمكنوا من قتل السلطان قرب صنعاء سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م وبالتالي القضاء على الدولة الطاهرية وبذلك انتهت الدول اليمنية المستقلة .

ولكن الحكم المملوكي في اليمن لم يستمر طويلا ففي نفس السنة التي استولوا فيها على اليمن استولى العثمانيون على مصر وقضوا على الدولة المملوكية فيها وأصبحت مصر ولاية عثمانية وقد أعلن المماليك في اليمن ولائهم للدولة العثمانية وظلوا يحكمون فيها حتى سنة ٩٥٨هـ عندما أرسل السلطان العثماني حملة استولت على اليمن من أيدي المماليك .

لقد كان لقضاء المماليك على الدولة الطاهرية أثرا كبيرا في تحول الصراع في اليمن من صراع بين دويلات وطنية مستقلة كل منها تحاول السيطرة على الأخرى إلى صراع بين أهل اليمن من جهة والمماليك والعثمانيين من جهة أخرى .

وبمعنى آخر أصبح الصراع بين دولة وطنية تعتبر نفسها الأحق بحكم اليمن (الدولة الزيدية) وبين العثمانيين الذين يعتبرهم أهل اليمن دخلاء ومحتلين، وقد حمل الأئمة عبء هذا الصراع والتف اليمنيون حولهم باعتبارهم الدولة الوحيدة المستقلة والمتبقية في اليمن والتي قامت سنة ٢٨٨هـ بقيادة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في صعدة والتي دخلت في صراع مع كل الدولة اليمنية المستقلة وكانت تظهر وتخبوا تنتصر

وتهزم بسقوط إمام وقيام آخر كما كانت تتبادل المراكز مع الدول الأخرى بين الاتساع والانكماش حسب قوة أو ضعف الدول المناوئة لها .

وبسقوط دولة بنى طاهر واستيلاء المماليك ثم العثمانيين على اليمن شعر أهل اليمن بوطأة الاحتلال العثماني للبلاد وتلفتوا حولهم يبحثون عن دولة تقودهم فلم يجدوا سوى الأئمة الزيديين فالتفوا حولهم وخاضوا صراعا مريراً وطويلاً مع العثمانيين وكان من أبرز هؤلاء الأئمة (الإمام شرف الدين) ثم ابنه (الإمام المطهر) الذى انتصر على العثمانيين فى معركة شعوب قرب صنعاء سنة ٩٧٥هـ وحاصر الأتراك فى صنعاء حتى أجبرهم على الجلاء من اليمن وتسلم منهم صنعاء وتعز وعدن ما عدا مدينة زبيد التى اتخذها الأتراك مركزاً لتجميع القوات التركية بغرض ظاهرى وهو انتظار السفن للأبحار إلى مصر، ولكنهم فى الحقيقة كانوا يتجمعون لمعاودة الاستيلاء على اليمن مرة أخرى حيث وصلتهم امدادات من الدولة العثمانية بقيادة الوزير التركى سنان باشا وزحفوا جميعاً من زبيد سنة ٩٧٦هـ / ١٥٦٩م واشتبكوا مع قوات الإمام المطهر واستولوا على صنعاء مرة أخرى .

وبوفاة الإمام المطهر سنة ٩٨٠هـ اندفع الجيش العثماني يستولى على املاك المطهر حتى ضم إليه غالب أجزاء اليمن .

وظلت الأحوال تحت السيطرة العثمانية حتى قيام المنصور بالله القاسم محمد بأمر الامامة سنة ١٠٠٦هـ فجمع القبائل حوله لقتال العثمانيين واستولى على أغلب المناطق الشمالية وخلفه الإمام المؤيد سنة ١٠٠٩هـ / ١٠٥٤م الذى تمكن من هزيمة العثمانيين فى معركة الصافية جنوب صنعاء وأجبرهم على الرحيل وتسليم كل الأقاليم والمدن اليمنية

وبذلك استقلت اليمن عن الدولة العثمانية حتى سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م عندما زحف الجيش العثماني للمرة الثالثة في عهد السلطان عبد المجيد واحتل ميناء اليمن (الحديدة) ثم بقية أجزاء اليمن فهب شعب اليمن بقيادة الائمة للدفاع عن البلاد وكان على رأسهم الإمام المتوكل يحيى بن أحمد ١٢٧١ - ١٢٩٥هـ ثم الهادي شرف الدين ١٢٩٦ - ١٣٠٧هـ ثم المنصور محمد بن يحيى حميد الدين ١٣٠٨ - ١٣٢٢هـ ثم ابنه المتوكل يحيى ١٣٢٢ - ١٣٦٧هـ والذي اضطر الأتراك في عهده إلى عقد معاهدة صلح مع الائمة عرفت باسم (اتفاقية دعان) سنة ١٩١١م أصبح للإمام بمقتضاها الأشراف على الشؤون الدينية وأن تكون للعثمانيين قوة رمزية في اليمن كرمز للوحدة الإسلامية وقد ظلت هذه القوة الرمزية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وهزيمة تركيا فيها حيث عادت القوات التركية إلى بلادها سنة ١٩١٩م. وطوال هذه الفترة من التاريخ كانت صنعاء هي العاصمة للعثمانيين والائمة الزيديين بالتبادل (المنتصر مع المنهزم) (١).

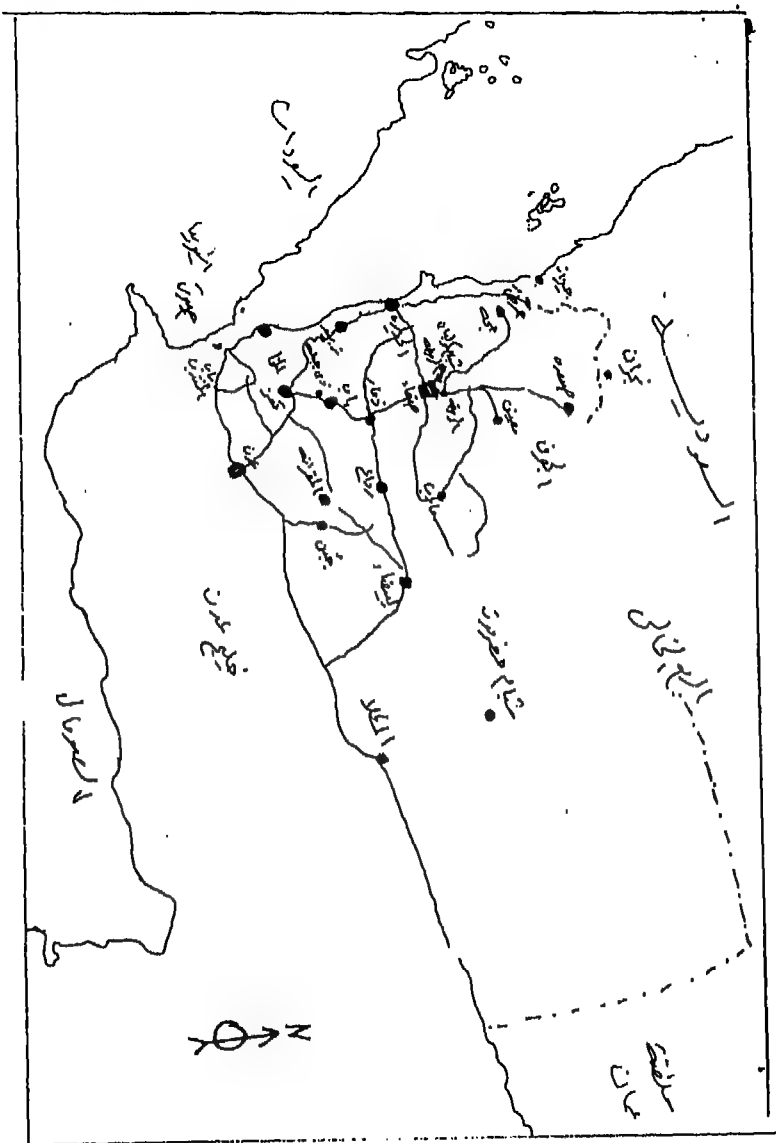
وباستقلال اليمن عن العثمانيين وطرد قواتهم منها لم ينتهى الصراع فقد دخل الائمة فى صراع مع الدولة السعودية كانت الانتصارات والهزائم متبادلة بينهم كما دخل الائمة فى صراع مع الاحتلال البريطانى لجنوب اليمن الذين كانوا قد احتلوا عدن وما حولها سنة ١٨٣٧م.

وحتى لا يطمع المستعمرون بأرض اليمن أغلق عليها الإمام باقفال حديدية قوامها الفقر والجهل والمرض والتخلف حتى تمكن الشعب من كسر هذه الأقفال والثورة على الائمة والقضاء على حكمهم فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م وبالتالي إعلان قيام النظام الجمهورى وبذلك انتهى

(١) احمد شلبى (د) : المرجع السابق، ص ٢٨٤ - ٤٠٢.

الحكم الإمامي بعد أن ظل يحكم اليمن من سنة ٢٨٨ هـ وحتى سنة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م تناوب فيها منصب الإمامة حوالى (١٦٧) أماما أولهم الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين وآخرهم الإمام البدر بن الإمام أحمد يحيى حميد الدين .

وقد تبع قيام الثورة وأعلان الجمهورية فى الشمال إعلان الثورة ضد الاحتلال البريطانى فى الجنوب سنة ١٩٦٣ م وظل الكفاح حتى جلاء المستعمر البريطانى عن أرض اليمن سنة ١٩٦٧ م وإعلان قيام جمهورية ثانية فى الجنوب وبالتالى انقسام اليمن إلى جمهوريتين عملتا معا لتوحيد اليمن وقيام الجمهورية اليمنية فى ٢٢ مايو ١٩٩٠ م واتخاذ صنعاء عاصمة للدولة الوحدة .



خريطة اليمن الطبيعية (١) : خريطة اليمن الطبيعية

ثانيا : الموقع الجغرافى وأثره على بناء المنازل فى صنعاء

تقع مدينة صنعاء فى الأقليم الأوسط من اليمن ولذلك يعتبرها الهمداني مؤرخ اليمن بمثابة أم اليمن وقطبها (١) أما ابن سعيد المغربى فقد ذكرها بقوله (وطول صنعاء ٣٠٧١ دقيقة والعرض ١٤ درجة و ٣٠ دقيقة وبينها وبين عدن مدينة جبلة) (٢) .

أما جغرافيا فإن صنعاء تحتل مركزا وسطا بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض فهى تقع على خط طول (٤٤ ر ١٥ درجة) شرقا ودائرة عرض (١٥ ر ١٥ درجة) شمالا ولذلك فهى تقع فى وسط اليمن التى تمتد من صنعاء شرقا بمقدار (١٥٥ ر) درجة طولية أى حتى خط طول (٤٦ ر ٢٠ درجة) شرقا كما تمتد من صنعاء غربا بمقدار (١٥٥ ر) درجة طولية أى حتى خط طول (٤٢ ر ٢٠) درجة شرقا ولذلك فإن مساحة اليمن تمتد من صنعاء شمالا بنحو ٢٤٠ كم وشرقا بنحو ٢٠٠ كم وغربا بنحو ٢٢٥ كم وجنوبا بنحو ٢٦٥ كم (٣) .

(١) مصطفى عبدالعال تمام : مدينة صنعاء ومسيرة التطور الاستيطاني الحضري، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، العدد الثامن، سنة ١٩٨٨م، صفحة ١٧٥ .

(٢) ابن سعيد المغربى، على بن موسى بن محمد : بسط الأرض فى الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خنيس، تطوان ١٩٥١م، صفحة ٣٣ .

(٣) مصطفى عبدالعال تمام : المرجع السابق، ص ١٧٦ .

وبلغ ارتفاع صنعاء عن مستوى سطح البحر حوالى ٢٣٥٠ م فى وسط قاع سهل يمتد من نغم شرقا حتى عيبان غربا ومن نقيط يسلم جنوبا حتى منطقة شبنم الفراس شمالا .

وتحيط بمدينة صنعاء الوديان الحصبة الغزيرة الأمطار والتى تتساقط عليها معظم شهور السنة وخاصة فى موسم الأمطار الصيفية والخريفية بحيث تنحدر عليها السيول من الجبال المحيطة بها مثل جبل نغم، وعيبان، وعصر، وحده (١) ولذلك يصنعها ابن رسته على انها (مدينة جبلية برية معتدلة الهواء) (٢) .

وقد أدرك المعمار اليمنى تبعاً لهذا الموقع الجغرافى والفلكى أن الشمس تتجاوز خط ١٥ ر ٤ شرقا الذى تقع عليه صنعاء أثناء رحلتها نحو الجنوب لتتعامد على مدار الجدى فى ٢١ ديسمبر ثم عودتها إلى هذا الخط فى ٢٢ مارس واتجاهها نحو الشمال لتتعامد على مدار السرطان فى ٢٣ يونيو ثم عودتها مرة أخرى إلى خط الاستواء فى ٢١ سبتمبر، ومن خلال ملاحظته لحركة الشمس هذه وجد ان الواجهة الجنوبية من المنزل تكون أكثر عرضه لأشعة الشمس طوال النهار مما يجعلها أكثر دفئا فى فصل الشتاء القارس البرودة فى صنعاء بينما تكون الواجهة الشمالية أثناء ذلك غارقة فى الظلال وبالتالى أكثر برودة فى فصل الشتاء .

أما فى فصل الصيف وأثناء رحلة الشمس نحو الشمال وأثناء عودتها نحو الجنوب فتكون الواجهة الشمالية أكثر عرضه للشمس بينما تكون

(١) بالوم كوستا : صنعاء، مقال ضمن كتاب المدينة الإسلامية، نشر سرجنت، ر، ب ترجمة أحمد محمد تعلق، نشر اليونيسكو، السيكومور، فجر، صفحة ١٥٧ .

(٢) ابن رسته، أحمد بن عمر، الاغلاق النفسية، طبع بالاولفست عن طبعه ليدن، ١٨٩١م، صفحة ٩٠ .

الواجهة الجنوبية مظلمة مما يجعلها معتدلة الحرارة لعدم تعرضها لأشعة الشمس .

ولذلك أدرك المعمار اليمنى أن الواجهة الجنوبية هى أنسب الواجهات ولذلك ركز فيها الوحدات السكنية التى يعيش فيها وتليها فى الأهمية الواجهة الغربية ثم الواجهة الشرقية أمام الواجهة الشمالية فقد خصصها لدورات المياه والحمامات والمطابخ، وإذا ما اضطر إلى عمل وحدات سكنية فى هذه الواجهة فإنها تكون ذات نوافذ علوية ضيقة .

أما من حيث درجات الحرارة فإنها متباينة إلى درجة كبيرة فى الليل والنهار نظرا لوقوع صنعاء على ارتفاع ٢٣٥٠ م / ٩٦٠٠ قدم عن مستوى سطح البحر (١) ، ولذلك فإن معدل الحرارة يتراوح بين ١٢ ° مئوية ليلا و ٣٠ ° مئوية نهارا فى فصل الصيف ، أما فى فصل الشتاء فمعدل الحرارة يتراوح بين ٢٢ - ٢٥ ° مئوية نهارا و ٦ - ٢ ° تحت الصفر فى الليل .

لذلك لجأ المعمار اليمنى فى صنعاء إلى استخدام مواد بنائية من طبيعتها اكتساب وخزن الحرارة نهارا وبطء فقدان الحرار ليلا بحيث يمكنها تدفئة المنزل معظم ساعات الليل وذلك من أجل الحفاظ على درجة حرارة معتدلة داخل المنزل .

ومن خلال أدراك المعمار اليمنى لهذه الظروف المناخية فقد فضل استعمال الواجهات الجنوبية والشرقية والغربية لبناء وحدات السكن التى يعيش فيها ومن هنا يمكننا أدراك مغزى المثل الصنعائى القائل أن البيت تتكون من (بيت، ثلاثة أرباع بيت، نصف بيت، ربع بيت) .

(١) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، مطابع البادية للأوفست، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، صفحة ١٥ .

فقد قصد بهذا المثل القول أن الواجهة الجنوبية تعتبر بيتا كاملا لأنها تكون دافئة في فصل الشتاء لأن الشمس تكون متركزة في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية مما يتيح للواجهة الجنوبية تعرضها لأكبر فترة ممكنة لحرارة الشمس بينما تكون هذه الواجهة معتدلة صيفا لأنها تكون غارقة في الظلال لأن الشمس تكون متركزة في النصف الشمالي من الكرة الأرضية مما يمنع تعرض هذه الواجهة لأشعة شمس الصيف الحارقة .

أما المقصود بثلاثة أرباع البيت فهي الواجهة الغربية لأنها تتعرض لأشعة الشمس منذ زوالها وحتى الغروب مما يتيح تدفئتها قبل قدوم الليل ببرده القارس شتاءً وأما المقصود بنصف البيت فهي الواجهة الشرقية لأنها تتعرض للشمس في الفترة الصباحية ولذلك فما أن يأتي الليل وبرده إلا وقد فقدت تدفئتها فتكون أشد برودة من الجنوبية والغربية ، وأما المقصود بربع البيت فهي الواجهة الشمالية لأنها في الشتاء تكون باردة لعدم وصول أشعة الشمس إليها وتكون صيفا حارة لتركز أشعة الشمس عليها^(١).

وإذا كان لدرجات الحرارة والبرودة أثر في توزيع حجرات السكن في منازل صنعاء وتقسيماتها الداخلية فقد كان لموقع اليمن في نطاق الأقليم الموسمي المطير صيفا أثره على عمارة المنازل اليمنية في صنعاء وغيرها من مدن اليمن، حيث دفعت الأمطار الموسمية الصيفية الغزيرة المعمار اليمني إلى استخدام مواد بنائية تقاوم عمليات التفتت والتحلل والتجريف الذي تقوم به مياه الأمطار مثل مواد الحجر والأجر وكذلك تغطية سطوح

(١) سعاد ماهر (د) : العمارة الإسلامية على مر العصور، جزءان، دار البيان العربي، جده الطبعة الاولى ١٩٨٥م، ج٢، ص ٧٨٩، عبد القوى طالب (مهندس) : مميزات المواد المستخدمة في العمارة السكنية بصنعاء القديمة، مجلة دراسات يمنية، العدد ٣٥، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، صفحة ٢٨٨ .

المنازل بمادة القضاض^(١)، والجص لكى يسهل من عملية تصريف المياه المتجمعة فى السطوح عبر ميازيب إلى خارج الدار فقد ذكر لنا ابن رسته ذلك فى الاعلاق بقوله (وهى مبينه بالحجارة المهندمة وأكثر سطوحها مفروشة بالجص لكثرة أمطارها)^(٢).

كما أن كثرة الأمطار فيها جعل المعمار يستعمل الأحجار فى بناء الطوابق السفلية لكى تقاوم دفع السيول الجارفة التى تمر فى شوارع المدينة اتية من الجبال المحيطة بها حتى تصب فى السائلة (مجرى مياه الأمطار) ولهذا السبب أيضا استخدام المعمار اليمنى الحجر المهندم فى رصف شوارع المدينة لكى يسهل انسياب مياه الأمطار وتصريفها إلى السائلة وقد ذكر لنا ذلك ابن بطوطة بقوله (ومدينة صنعاء مفروشة كلها فإذا ما نزل المطر غسل جميع أزقتها)^(٣)، وما يزال هذا الأسلوب البنائى فى استخدام الحجر والأجر فى بناء جدران المنازل جاريا حتى اليوم ولا زالت هناك بقايا كثيرة للشوارع المرصوفة بالأحجار باقية حتى اليوم وقد قامت اليونسكو فى الفترة الأخيرة بترميم واصلاح والحفاظ على صنعاء القديمة حيث رمت المنازل المهندمة وأعادت رصف الشوارع بالأحجار كما كانت قديمة وهى حاليا تقوم بترميم سور صنعاء وأكمال بقية ترميم المدينة والحفاظ عليها.

(١) القضاض : هو خليط من التورة والنيس والجص، عندما يجف يصبح صلباً كالاسمنت ويتميز بعدم تسرب المياه من خلاله ولذلك يستخدم كبلاط لخزانات المياه وهو يشبه مادة الخافقي فى مصر.

(٢) ابن رسته : المصدر السابق، ص ٩٠ - ١١٢.

(٣) ابن بطوطة، محمد عبدالله : رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الاسفار دار الكتاب اللبنانى، مكتبة المدرسة، صفحة ١٦٨.

ثالثا : تخطيط مدينة صنعاء

تعتبر مدينة صنعاء فى موقعها الجغرافى واحدة من أقدم المواقع التى غرست فيها بذرة الاستيطان الحضرى العريق وقد بدأ الوجود الحضرى لمدينة صنعاء منذ ما قبل الميلاد بعدة قرون ولكن لا يوجد تاريخ معين يمكن أن يحدد ذلك وكان هذا الوجود أول الأمر عبارة عن منزل ثم قرية ثم مجموعة من القرى المتناثرة فى قاع صنعاء الذى تطوقه الجبال ثم اندمجت أطراف القرى المتناثرة فى كيان عمرانى واحد احساسا بالمصلحة الأمنية والاقتصادية (١).

إلا أننا لا نعرف كيف كان تخطيط صنعاء قبل الإسلام نظرا للتوسعات التى طرأت على المدينة منذ بدء الإسلام وحتى اليوم ولكن من الأرجح أن تخطيطها كان أما دائريا أو بيضاويا مثله مثل باقى المدن اليمنية القديمة الأخرى كتخطيط مدينة مارب وصرواح السبأيتين ومدينة براقش وقرناو وغيرها من المدن المعنية .

وكان يحيط بمدينة صنعاء سورا بناه الملك شعر أوتر فى نهاية القرن الثانى الميلادى وجاء ذكر هذا السور عند الهمدانى فى الأكليل ويؤيد

(١) مصطفى عبدالعال تمام: المرجع السابق، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

وجود مثل هذا السور العثور على نقش يحمل اسم الملك شعراوتر يذكر فيه مدينة صنعاء وكذلك (جنأ / صنعاء) ^(١) وكلمة (جنأ) فى النقوس اليمينية القديمة تعنى السور ^(٢).

كما ذكر الهمدانى أنه كان لصنعاء تسعة أبواب وأن سورها كانت تشمى فيه ثمانية من الخيول مجتمعة ويقول (بالوم كوستا) أن عضادات باب ستران والبوابة الجنوبية للقلعة وجزء صغير من السور قرب القلعة ترجع إلى العصر السبئى مقارنة بأبنية سد مأرب وأسوار مدينة (دو) ^(٣).

وما يهمنى هنا هو تخطيط مدينة صنعاء الإسلامية والتي شهدت منذ دخول أهل اليمن فى الدين الإسلامى حركة ازدهار وتطور عمرانى كبير.

ففى أوائل الإسلام كانت صنعاء مقسمة إلى قسمين: القسم الأول ويعرف باسم القطائع وهو حى تعيش فيه الطبقة الحاكمة من أبناء الفرس الذين جاءوا إلى اليمن قبيل الإسلام فى عهد سيف ابن ذى يزن والذي استنجد بهم ضد الأحباش وبعد مقتل سيف بن ذى يزن استولوا على الحكم وتزاجوا مع اليمنيين وسمى ما أنجب منهم باسم الأبناء كما سبق الذكر. وكان آخر حكام الفرس على اليمن هو (باذان) والذي دخل فى الإسلام عند دعوة الرسول ﷺ له بذلك حيث أبقاء الرسول ﷺ على حكم صنعاء، أما القسم الثانى من المدينة فكانت تسكنه قبيلة بنو شهاب الأصلية ^(٤) وهذين القسمين يقعان داخل المدينة الحالية.

(١) عبدالرحمن الحداد (د) : المرجع السابق، ص ١٦٠.

(٢) أ.ف.ل. بيستون وآخرون، المعجم السبئى، منشورات جامعة صنعاء، ج.٥، ١٩٨٢م صفحة ٥٠.

(٣) عبدالرحمن الحداد (د) : المرجع السابق، ص ١٦١.

(٤) ر.ب. سرجنت: الطبقات الاجتماعية فى شبه الجزيرة العربية، مقال ضمن كتاب المدينة الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد تعلق، صفحة ١٤١.

وقد حصل أول توسع وأزدهار عمراني لمدينة صنعاء عند قيام فروة بن مسيك المرادي ببناء جبانة صنعاء (مصلى العيدين) خارج المدينة وبنى إلى جوارها مسجده المعروف باسمه حتى اليوم فقام الناس ببناء منازلهم حول الجبانة كما قام ولاية الدولة الأموية وعمال الدولة العباسية ببناء قصورهم حول الجبانة فقد ذكر الرازي في تاريخه أن «منازل مصلى العيدين من أبهى العماير وأحسنها صنعا بل وكانت أجمل من منازل صنعاء وكانت ملاصقة لها وخاصة مساكن ولاية من يرد من العراق وحاشيتهم ممن يفد مع أولئك الولاية مع من كان يسكنها من التجار والأغنياء وأهل الثروة واليسار»^(١).

وهذا يدلنا على أن أول توسع حدث لمدينة صنعاء يمكن افتراضه مع انشاء جبانة صنعاء أو بعده بقليل، والأرجح أن ولاية الأمويين وعمال العباسيين بنو مساكنهم حول الجبانة وانضم إليهم أغنياء البلاد، بحيث أصبح حي الجبانة (حي فروة بن مسيك حالياً) حياً خاصاً بالطبقة الحاكمة الثرية.

ولذلك أصبحت صنعاء قبلة يؤمها عاشقوا بلاد اليمن بسهولة وجبالها وشدة إليها الرحال كثير من الرحالة وتمنى شد الرحال إليها الكثير من المؤرخين فلا غرابة في أن نجد ابن خرداذبه يذكرها بقوله (لا بد من صنعاء وأن طال السفر)^(٢).

ومما يشهد على ذلك التوسع والأزدهار ما ذكره الرازي في القرن

(١) سعاد ماهر (د): العمارة الإسلامية على مر العصور، ج١، ص ١٣٣.

(٢) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبدالله: المسالك والممالك، طبعة ليدن ١٩٨٩م، صفحة ١٣٦.

الثالث الهجرى من احصاء لمنازل ومساجد صنعاء حيث قال أن عدد دورها ومنازلها بلغ مئة وعشرين ألف دار ومنزل وأن عدد مساجدها بلغ عشرة آلاف مسجد وغير ذلك من السقايات والحمامات (١).

وهذا النص وأن كان فيه شيء من المبالغة فى الأرقام ألا أنه مع ذلك يدلنا على مدى التوسع والأزدهار العمرانى.

ألا أن مدينة صنعاء لم تستمر فى نموها وأزدهارها العمرانى لعدة أسباب منها أسباب طبيعية وأسباب سياسية ففى القرن الثالث الهجرى شهدت صنعاء الكثير من الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية منها زلزال سنة ٢١٢هـ الذى دمر بعض منازلها وكذلك فىضان سنة ٢٦٢هـ الذى خرب أكثر من ستة آلاف منزل وجامع ومنها جامع صنعاء الكبير الذى اعاد بناؤه محمد بن يعفر سنة ٢٦٥هـ كما ازداد الانحطاط والتدهور بدخول الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين صنعاء سنة ٢٨٨هـ / ٩٠٠م، فبعد أن كانت دور صنعاء حوالى ١٢٠ ألف دار بلغت حوالى ٣٠٠ ألف دار فى أوائل القرن الرابع الهجرى وفى أواخر الدولة اليعفرية وبالتحديد سنة ٣٤٤هـ أصبحت صنعاء تضم حوالى ١٤٠ ألف دار فقط ونحو سبعين حانوتا و١٠٦ مسجدا واثنى عشر حماما واثنين وعشرين مطبخا للقمح وأربعة وخمسين معصرة (٢).

وقد بلغ الخراب أشده فى الفترة من ٤٠٥ - ٤٤٨هـ نظرا لكثرة الخلافات السياسية واستيلاء القبائل عليها بحيث أصبح لصنعاء فى كل سنة أو شهر سلطانا ولم تسترد صنعاء أنفاسها إلا فى عهد الدولة

(١) الرازى، المصدر السابق، ص ١٦ مصطفى عبدالعال تمام، المرجع السابق، ص ١٨٣.

(٢) مصطفى عبد العال تمام : المرجع السابق، ص ١٨٣.

الصليحية ومؤسسها على بن محمد الصليحي الذي قام بترميم سور صنعاء بالحجر والجص وركب عليها سبعة أبواب هي باب غمدان في الجنوب وباب دمشق في الشمال وباب الشيخة وباب الخندق الأعلى ويدخل من السيل وباب الخندق الأسفل ويخرج منه السيل وباب النصر المؤدى إلى نغم وحصن براش وباب شرعه وينفذ إلى بستان السر^(١). وبذلك وصلت صنعاء إلى حدود السائلة، وقد وصفها عمارة اليمنى قبيل قدوم الأيوبيين إلى اليمن بقوله (ليس باليمن أكبر ولا أكثر مرافق وأهلا من صنعاء)^(٢).

وقبل أن نتحدث عن التوسعات الأخرى نقف قليلا عند هذا الجزء من المدينة والذي يسمى صنعاء القديمة وهو محاط بسور على بن محمد الصليحي والذي جدده طغتكين بن أيوب بعد أن قام بنو حاتم بهدمه عندما شعروا باقتراب الأيوبيين من صنعاء وذلك بهدف جعل الأيوبيين عند دخولهم المدينة مكشوفين مما يمكن بنى حاتم من شن غارات سريعة وخاطفة للقضاء على جند الأيوبيين جماعات وأفراد بما يشبه حرب العصابات اليوم وذلك لأن بنى حاتم كانوا عاجزين عن قتال الأيوبيين وجها لوجه .

ويعتقد إن مساحة صنعاء في هذه الفترة كانت حوالى ١١٨ هكتار كما ذكر ذلك (بيرجر) أما (الن بيرتود) فقدّر مساحة صنعاء القديمة بحوالى (١٠٢ هكتار)، ويبلغ طول صنعاء القديمة ٦٢٠ كم في المرحلة القديمة والأيوبية^(٣).

(١) مصطفى عبدالعال تمام: المرجع السابق، ص ١٨٤.

(٢) عبدالله الشيبه (د) : مدن يمنيه، مجلة اليمن الجديد، العدد ١٢، السنة ١٧، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، صفحة ٥١.

(٣) عباس فاضل السعدى (د) : نشأة مدينة صنعاء وتطورها، مجلسه دراسات يمنية، العدد ٣٤، سنة

١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، صفحة ٨٥.

وهذا القسم من المدينة يعتمد فى تقسيمه على نظام الحارات فبالرغم من أن البنايات تبدوا متلاصقة عن بعد إلا أن الأزقة تخترقها بطريقة منظمة بحيث يكون فى كل حارة مسجد ولذلك نجد أن معظم الحارات أطلقت عليها تسميات المساجد الموجودة بها، ولكل حارة من هذه الحارات بستان خاص بها وكذلك حمام وسوق صغير ومن أهم حارات صنعاء القديمة: حارة الباشا - حارة موسى - حارة الأبر - حارة غرقه القليس - حارة صلاح الدين - حارة خضير - حارة الزمر - حارة المفتون - حارة المدرسة - حارة الميدان - حارة الفليحي - حارة العلمى - حارة القرالى - حارة داود - حارة طلحه - حارة الأبر - حارة الجامع الكبير - حارة الخراز - حارة الجلاء - حارة مسجد محمود (١).

أما شوار صنعاء فهى ضيقة كما هى العادة فى تخطيط شوارع المدن القديمة وهذه الشوارع صممت بحيث تصب فى الأسواق (٢).

ومن أهم أجزاء المدينة القديمة موقع قصر غمدان القديم فى أقصى الجهة الشرقية من المدينة ولا يزال إلى اليوم يسمى (القصر) وقد حل محله حالياً قصر السلاح وبعض المنازل.

يرجح بناء قصر غمدان فى القرن الثانى الميلادى إذ أن أول ذكر له يرد فى النقوش من عهد الملك شعر أوتر (٣) وقد ذكر الهمدانى فى القرن ٤ / ٣ هـ وغيره من المؤرخين أن قصر غمدان كان مكوناً من عشرين طابقاً ونجد ذلك فى الأبيات الشعرية التى نظمها الهمدانى ونصها (٤).

(١) زيد بن على عنان: صنعاء حاراتها وآبارها وشوارعها ومساجدها وأسواقها وألعاها، مجلة الأكليل العدد ٣، ٢، سنة ١٩٨٣م، صفحة ٣١ - ٣٦.

(٢) عباس فاضل السعدى (د): المرجع السابق، ص ٨٤.

(٣) يوسف محمد عبدالله (د): صنعاء المدينة العربية، ص ١٨٥.

(٤) الهمدانى: المصدر السابق، ص ٥٠.

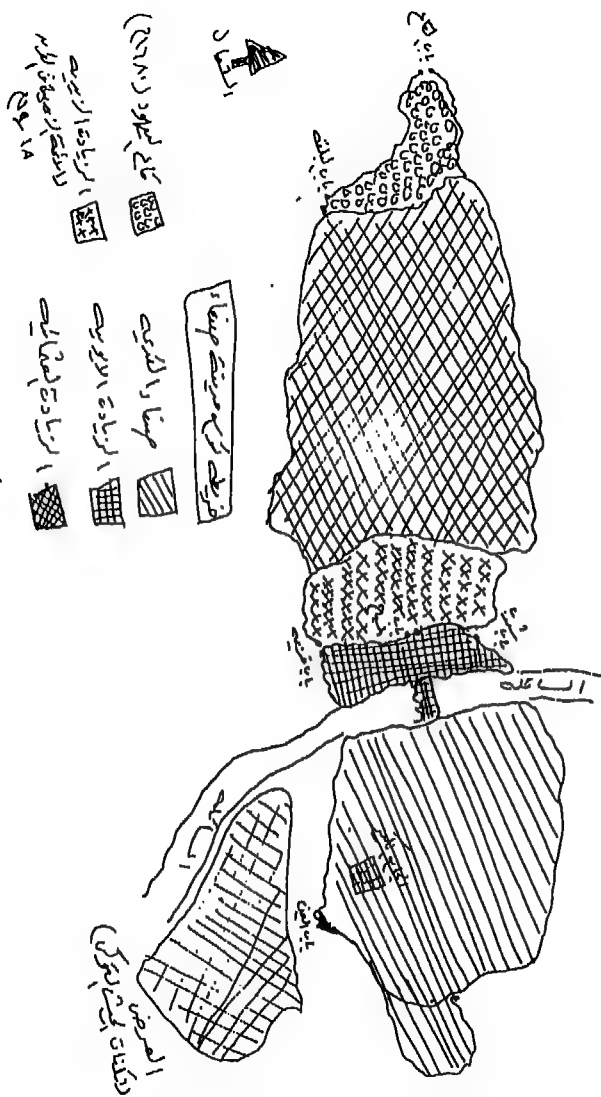
من بعد غمدان المنيف وأهله
يسمو إلى كبد السماء مصعدا
ومن السحاب معصب بعمامة
متلاحقا بالقطر منه صخرة
وبكل ركن رأس نسر طائر
متضمنا في صدره قطارة
والطير واقفة عليه وفودها
ينبوع عين لا يصرد شربها
برخامة مبهومة فمتى ترد
أربابه مدخولة لم يعسروا

وهو الشفاء لقلب من يتفكر
عشرين سقفا سمكها لا يقصر
ومن الرخام منطلق ومؤزر
والجنز بين صروحته والمرمر
أو رأس ليث من نحاس يزأر
لحساب أجزاء النهار تقطر
ومياهه قنواتها تتهدر
وبراسه من فوق ذلك منظر
أربابه مدخولة لم يعسروا

أن هذه الأبيات توضح لنا قدر ارتفاع القصر وتعدد طوابقه سواء
أصح أنه مكون من عشرين طابقا أم لم يصح ذلك وما يهمنا هو تعدد
الطوابق والتي مازالت تتميز به صنعاء من عصر ما قبل الإسلام وحتى
اليوم وكذلك يهمنا من قصر غمدان ما ذكر من أن واجهاته الأربع كانت
كل منها مبنية بلون معين من الحجر الأبيض والأسود والأخضر
والأحمر^(١)، كما يهمنا من تلك الأبيات الشعرية ما ذكر من أن قصر
غمدان كانت تعلوه غرفة مربعة أو مستطيلة كان سقفها مصنوع من
رخامة واحدة شفافة وهذه الحجرة هي ما تعرف باسم (المنظر) كما جاء
في البيت الشعري الثامن، ويقول الهمداني في الأكليل أن هذه الحجرة
كان الجالس فيها يرى الطير إذا مرت فوق الحجرة من خلال اللوح
الرخامي الشفاف^(٢)، وكلمة المنظر التي وردت في البيت الشعري
مازالت تستخدم حتى اليوم كاسم للمفرج في المنازل الصناعية .

(١) عبد الرحمن الحداد (د) : المجمع السابق ، ص ١٥٨

(٢) الهمداني : المصدر السابق ، ص ٥٩ - ٦٠



خریطة رقم (۲) : مراحل غو مدینه صنعتاء

وفي العصر الأيوبي امتدت مدينة صنعاء نحو الغرب بحيث تعدت السائلة حيث قام السلطان الأيوبي طغتكين ببناء بستان خاص به أطلق عليه اسم بستان السلطان وما زال هذا الاسم شائعا حتى يومنا هذا ولكي يربط المدينة القديمة بالجزء الذي استحدثه غرب السائلة قام بتسوير صنعاء بدل السور الذي هدمه بنو حاتم كما قام بعمل سور للجزء الذي استحدث بحيث أصبحت السائلة محصورة بين السورين ويبلغ عرض السائلة حوالي ٣٠م وقد تم وصل جزئي المدينة بخنادق فوق السائلة لعبور الناس وما يحملون عليها (١). وكان السبب في بناء الخنادق أن مياه الأمطار قد تستمر في السقوط على صنعاء لأيام متتالية مما يجعل مياه الأمطار تجري في السائلة لأيام متواصلة مما يجعل من الصعوبة عبور الناس إلى أجزاء المدينة وكذلك إلى وديانهم ومزارعهم غرب السائلة .

وقد تميزت قصور الأيوبيين التي بنوها في الجزء الغربي من السائلة بطابعها اليمنى (٢)، وقد ظلت مدينة صنعاء على ما هي عليه في عهد الدولة الرسولية والطاهرية لأنها لم تعد العاصمة فلم يهتم بها كثيرا إلى جانب وقوعها في أطراف أملاك هذه الدول مما جعلها عرضة لهجمات الأئمة في الشمال ورغم ذلك فقد ظل جمال عمارة صنعاء يأسر الباب المؤرخين والرحالة فهذا ابن بطوطة يصفها بقوله (صنعاء قاعدة بلاد اليمن الأولى مدينة كبيرة حسنة العمارة بناؤها بالأجر والجص كثيرة الأشجار والفواكه والزرع معتدلة الهواء طيبة الماء) . كما يذكر ابن بطوطة شوارع المدينة بقوله (ومدينة صنعاء مفروشة كلها فإذا منازل المطر غسل جميع أزقتها وانقاها) (٣) .

(١) بالرم كوستا: صنعاء، المرجع السابق ص ١٦٢

(٢) مصطفى عبد العام تمام: المرجع السابق، ص ١٨٥ (٣) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص ١٦٨

وعندما استولى العثمانيون على اليمن في القرن ١٦م أطلقوا يد التوسع العمرانى حيث بلغت مساحة المدينة آنذاك حوالى ٦ كم٢ حيث أضيفت مدينة جديدة وبالأصح أحياء جديدة إليها فى الجهة الغربية من الزيادة الأيوبية وتعرف هذه المدينة باسم بئر العزب والتي كانت تضم مساكن موظفى الدولة العثمانية وكانت تضم إلى جانب ذلك حدائق وبساتين رائعة .

وعندما تم طرد اليهود من صنعاء القديمة سنة ١٦٨٠م أطلق على الحى الذى رحلوا منه اسم حى الجلاء ولازالت هذه التسمية قائمة حتى اليوم أما اليهود فقد رحلوا إلى مدينة المخا على ساحل البحر الأحمر ثم عادوا مرة أخرى إلى صنعاء وبنوا لهم مساكن خاصة إلى الغرب من بئر العزب العثمانية على بعد ١٥ كم من صنعاء القديمة ويعرف الحى الذى أقاموه باسم (حى اليهود) أو (قاع اليهود) والذى يتصف بازقته الضيقة المستقيمة تنتشر فيها دكاكين صغيرة مقطعة من المنازل تستخدم لأغراض التجارة، وتخطيط حى القاع على أساس نظام الحارات أو الفسح حيث تشيد المنازل حول فسحة من الأرض (ميدان أو بستان صغير) تحيط بها المنازل من كل جانب عدا مدخلها وصممت المنازل بحيث يسهل الانتقال من بيت إلى آخر، ومنازل هذا الحى مبنية باللبن (أجر مجفف بالشمس) والمغطى بطبقة من الملاط . وكان يحيط بحى قاع اليهود سور صغير له بابان الأول غربى يعرف باسم باب القاع والآخر من الجهة الجنوبية ويعرف باسم باب البلقة والذى أعيد بناؤه سنة ١٨٧١ - ١٨٧٩م^(١) وقد ظل اليهود فى صنعاء حتى سنة ١٩٥٠م حينما طردوا

(١) عباس فاضل السعدى (د) : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

من اليمن وانتقلوا إلى فلسطين^(١) ثم ما لبث هذا الحى أن دخل ضمن منطقة بئر العزب عندما قام العثمانيون بعمل سور يضم بئر العزب وقاع اليهود وكان هذا السور مبنى من الطين والحجارة بإرتفاع أربعين قدماً^(٢) وفتحوا بهذا السور عدد من الأبواب منها باب خزيمه فى الضلع الجنوبى الشرقى وباب الشقاديف فى الضلع الشمالى الشرقى وباب الروم وباب العبيلة فى الضلع الشمالى وباب القاع فى الضلع الغربى وباب البلقة فى الضلع الجنوبى كما فتحت عدة أبواب أخرى باتجاه الزيادة الأيوبية (نحو الشرق) منها باب السباح وباب المستشفى وباب شعوب الموجود فى منطقة التقاء سور صنعاء القديمة وسور بئر العزب فى الضلع الشمالى^(٣).

وفى الفترة من ١٨٧٥ - ١٨٨٠ م قام العثمانيون باعادة بناء غمدان من صنعاء القديمة وأطلق عليه اسم باب اليمن وإلى الجنوب منه بنى العثمانيون مباني خاصة كثكنات للجيش التركى فى نفس فترة بناء باب غمدان ومن أشهر تلك الثكنات والتي ما تزال باقية حتى يومنا هذا، ثكنات الفرسان وكان يطلق على هذه المباني وميادينها اسم العرضى نسبة إلى استعراض الجيش فيها وما زالت حتى اليوم تعرف بهذا الاسم كما لا تزال هذه المباني حتى يومنا هذا تستخدم كثكنات لبعض الوحدات العسكرية اليمنية الحديثة ومنها الشرطة العسكرية وسلاح الإشارة ولجنة الدفاع الوطنى والمؤسسة الاقتصادية العسكرية .

وعندما استولى الائمة على صنعاء من أيدي العثمانيين فى القرن ١٨ ،

(١) ر ، ب ، سرجنت : الطبقات الاجتماعية ، المرجع السابق ، ص ١٤٣

(٢) بالوم كوستا : صنعاء ، المرجع السابق ، ص ١٦٣

(٣) مصطفى عبد العام تمام : المرجع السابق ، ص ٢٠١

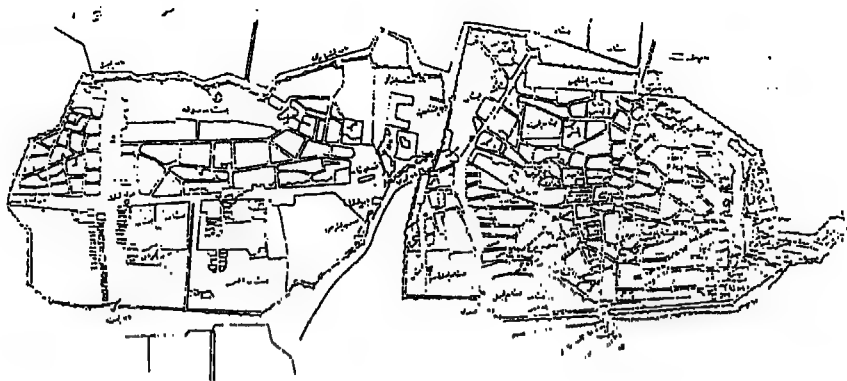
١٩م قاموا ببناء بعض القصور والبساتين في المنطقة ما بين بئر العزب والزيادة الأيوبية حيث قام الإمام المتوكل سنة ١٧١٦ - ١٧٢٧م ببناء قصر له وكذلك مسجد سمى باسمه كما قام ابنه المنصور حسن ١٧٢٧ - ١٧٤٨م بتسمية منطقة القصور باسم المتوكلية نسبة إلى أبيه وبنى في المنطقة العديد من الحمامات والعمائر الأخرى ولما استعاد العثمانيون صنعاء سنة ١٨٧٠م هدموا قصر المتوكل وبنوا مكانه مستشفى وعندما طُرد الأتراك من اليمن في نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٩م قام الإمام يحيى بهدم المستشفى وبناء قصر خاص به على انقاضه سمى باسم دار السعادة (المتحف الوطني حالياً) كما بنى العديد من القصور الأخرى من أهمها دار الشكر^(١) وقصور أخرى تشغلها حالياً وزارة التربية والتعليم ووزارة الصحة والمتحف الحربي والقصر الجمهوري وكانت هذه القصور محاطة بالبساتين والحدائق الغناء لتكون متنزهاً لأفراد البيت الإمامي وعائلاتهم.

وبذلك امتدت صنعاء لتشمل المدينة القديمة وبئر العزب العثمانية وقاع اليهود والمتوكلية وقصور الائمة الأخرى.

وقد تضاعفت مساحة صنعاء بعد طرد الأتراك بحيث أصبحت مساحتها (٢٤٣ هكتار) منها ١١٤ هكتار تمثل بئر العزب و ١١ هكتار قاع اليهود و(١١٨) هكتار صنعاء القديمة والأيوبية، أما طولها فبلغ نحو (١٢ر٥ كم) وبلغ عدد سكانها سنة ١٩٠٥م حوالي (٢٠ ألف نسمة)^(٢).

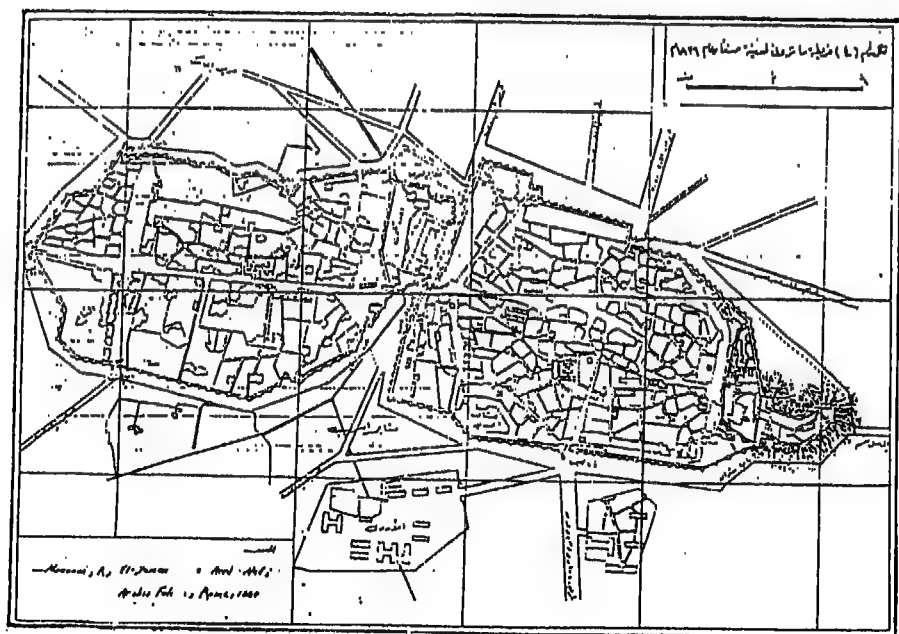
(١) بالوم كوستا : صنعاء ، المرجع السابق ، ص ١٦٣ - ١٦٤

(٢) عباس فاضل السعدى (د) : المرجع السابق ، ص ٩٠ - ٩١



خريطة رقم (٣) : خريطة رسمت لمدينة صنعاء سنة ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م وأرسلت إلى والي العثماني على اليمن

مصطفى عاصم باشا



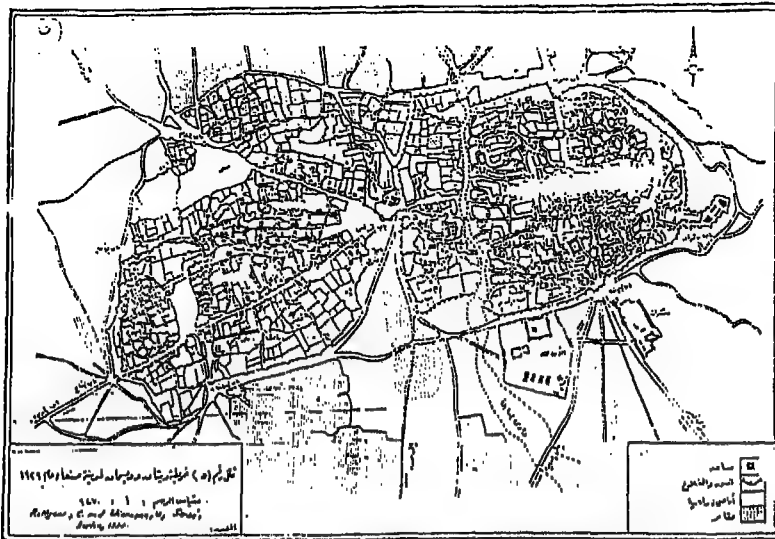
خريطة رقم (٤) : خريطة رسمها مازوني لصنعاء سنة ١٨٧٩م

وقد زار مدينة صنعاء العالمان الألمانيان كارل رانيانز Carel Rathiens وفون ووسمان Hermonn Von Wissmann وقاما بوصف المدينة سنة ١٩٢٩م ووضعاً خريطة لها وقد ذكرا أن مساحة صنعاء آنذاك بلغت حوالي مئة وثمانية وستون هكتار^(١) وقد سطوروا في كتابتهم ما يلي : يمكن الحديث هنا عن مدينتين الشرقية تحمل اسم صنعاء وهى قديمة ومرتفعة شرقاً حتى سفح جبل نقم وذلك بارتفاع خمسة عشر متراً ويقع الشطر الأعظم من المدينة فى قاع الوادى المنبسط وغالبا ما يكون الجزء الغربى منها فى أوقات المطر منعزلاً عن باقى المدينة ولا يمكن العبور منه وإليه إلا عن طريق جسر واحد فقط ، حيث يندفع ماء الفيضان فى مجرى رملى عرضه ٢٠ - ٣٠م، أما أسوار المدينة فقد بنيت من كتل الطين والحصى المعروف محلياً باسم الزابور . . . وللأسور أبراج مستديرة عددها (١٢٨ برجاً) يبعد كل منها عن الآخر مسافة (٥٠) متراً كما يفتح بجدار السور أربعة أبواب رئيسية محورية باتجاه الجهات الأصلية هى باب اليمن فى الجنوب وباب شعوب فى الشمال وباب القصر^(٢) فى الشرق وباب السبح فى الغرب وكان كل باب من هذه الأبواب يغلق ليلاً وعليها حراسة مشددة . أما منتصف المدينة الغربى الذى يقع فى منتصف سهل الوادى فقد تطور إلى عدة أحياء وأحيط بسور وفى أقصى الغرب يوجد حى اليهود وهو عبارة عن مدينة صغيرة قائمة بذاتها وتتكون منازل اليهود عادة من طابقين^(٣).

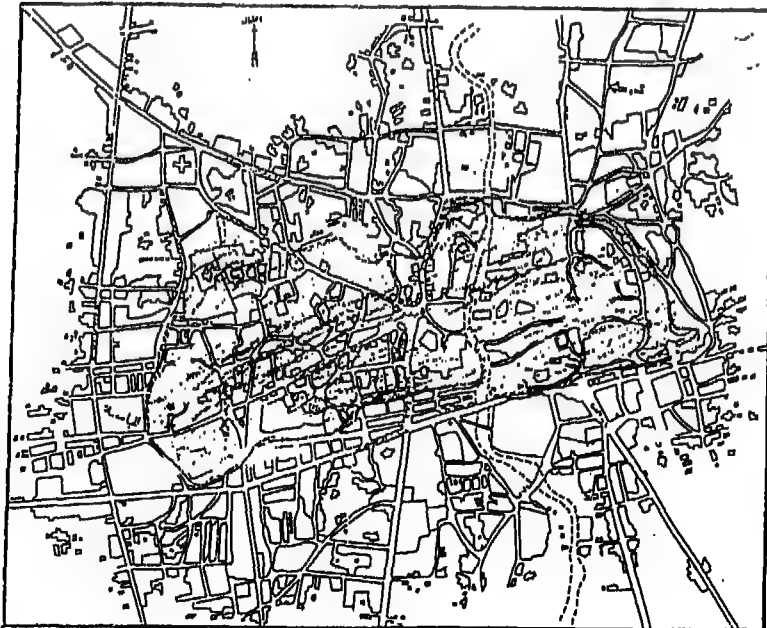
(١) مصطفى عبد العام تمام : المرجع السابق ، ص ١٩٠ (٢) يعرف حالياً باسم باب ستران .

(٣) RATHJENS CARL UND WISSMAN HERMANN V : Sana'a Eiue Sud Arbische Stadt Land Scheft Zeitschrift der Gese II Shaft dur Erdkunde Zu Berlin 1929, P. 329 - 353 .

heid الله الشيبة (د) : المرجع السابق ، ص ٥٥ - ٥٦ وزيد بن على عنان : المرجع السابق ، ص ٤١



خريطة رقم (٥) خريطة رسمها راتيلز وفون نيسمان للمدينة صنعاء سنة ١٩٢٩م



خريطة رقم (٦) خريطة توضح التوسعات الحديثة للمدينة صنعاء

أما عن توسعات المدينة بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م وقيام النظام الجمهورى فقد حدث فيها أول تغير لمنطقة بئر العزب ومنطقة المتوكلية وقصور الائمة ولم يسلم من التغيير سوى المدينة القديمة وحى اليهود وأن كان الأخير تغير بعض الشيء حيث تم هدم باب القاع فى الغرب لتوسيع شارع جمال عبدالناصر الذى امتد حتى ميدان التحرير (شراره سابقا) والذى كان يمتد من باب السباح - الذى هدم هو الآخر لتوسيع الميدان - إلى دار البشائر فى الغرب ومن دار السعادة والشكر فى الشمال إلى حدود ثلاثة قصور أصبحت حاليا تعرف باسم وزارة التربية والتعليم - وزارة الصحة - المتحف الحربى .

كما هدمت أغلب أسوار مدينة صنعاء لكى تمتد الشوارع خارج المدينة لكى تستطيع السيارات دخول المدينة وكان ذلك جريمة كبرى ترتكب فى حق مدينة صنعاء الساحرة .

لقد كان سكان صنعاء فى بداية الثورة حوالى ٥٥٠,٠٠٠ ألف نسمة ونظرا لكثافة هذا العدد الهائل داخل أسوار المدينة حدث الانفجار السكانى والعمرانى حيث امتدت يد العمران بعد الثورة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا تملأ الأودية والتباب بالآف المنازل وعشرات القصور ومئات المستشفيات والوزارات ومئات المدارس والمعاهد العليا - وجامعة صنعاء وغيرها من المنشآت الاقتصادية والصحية والأمنية والعسكرية والتعليمية بحيث وصلت غربا إلى حدود جبل عيبان وشرقا حتى جبل نقم وجنوبا حتى منطقة حزيز وشمالا حتى مدينة الروضة .

وقد تعددت الانماط المعمارية بين القديم والحديث ، فقد قامت الثورة ضد الاستبداد والعزلة وكل رموزه وللأسف كان ثورة أيضا ضد العمران

المتوارث وأساليب البناء القديم فغزت الأساليب الحديثة والمواد الحديثة أيضا المتمثلة فى الأسمنت ومشتقاته بحيث حاصرت كتل الأسمنت صنعاء القديمة وخنقتها ولكن تيقظ الشعب والدولة وشعروا بفداحة الجريمة التى ارتكبوها وبدأوا يتجهون نحو الاصاله وتجميلها بالأساليب الحديثة التى لا تخل بأصاله الموروث المعمارى كما تداركوا فعلتهم الشنعاء بحق المدينة القديمة وأسوارها وتوجهوا نحو هيئة اليونسكو التى مدت يد العون واعلان أن صنعاء مدينة عالمية يجب الحفاظ عليها ومازالت حتى يومنا هذا أدوات التجديد والترميم تعمل لاصلاح الخطأ واعادة الجمال لمدينة صنعاء فأنشأت العديد من المدارس والمعاهد الفنية والحرفية لتخريج العمالة اللازمة لكى تحافظ على المدينة القديمة وبناء المساكن الحديث بأساليب تخطيطه حديثة ولكن بأساليب بنائية قديمة فمزجت بين القديم والجديد فخلقت بذلك أسلوب بنائى جديد ومن أهم الاحياء الجديدة التى انشأت فى صنعاء: حى الصافية وحده ونقم والسبعين والمدينة السكنية فى الجهة الجنوبية وحى القيادة والحصية والزراعة والكويت والاذاعة وسبأ والمطار فى الشمال وحى القصر ونقم وظهر حمير فى الشرق وحى الجامعة ومعين والستين، وعصر الأعلى وعصر الأسفل وهائل سعيد وحى القليس وصلاح الدين فى الغرب وكل حى من هذه الاحياء ينقسم إلى حارات صغيرة لكل منها اسم .

وتمتاز مدينة صنعاء القديمة بتقسيمها إلى عدة أسواق تجارية كل منها عبارة عن حوانيت مفتوحة فى الطابق الأرضى المطل على الشارع تباع فيها المصنوعات الفضية والذهبية والحريرية والخشبية إلى جانب المنتجات الزراعية كالعنب والقمح وغيرها .

وكان لكل نوع من أنواع التجارة أو الصناعة سوق مخصص لها يعرف باسمها. وكان النظام الاقتصادي والتجاري لأسواق صنعاء يسير وفق أسواق مركزية تتركز في منطقة الجامع الكبير، وقد بلغ عدد الأسواق بها أكثر من أربعين سوقا في النصف الأول من القرن الحالي ولكن لم يبق منها الآن سوى ٢٨ سوقا منها: سوق البقر، سوق الحمير، سوق الحطب، سوق القصب، سوق المحادة، سوق المنجارة، سوق النقال (المشغولات الجلدية) سوق الحلقة، سوق السراجين، سوق العنب، سوق الكوافي، سوق المدائع (الشيشة) سوق الجص، سوق السلب (الحبال) سوق البساطة (التجار الذين يفترون الشارع) سوق البز (القماش) سوق العطارة، سوق الحب (القمح وأمثاله) سوق الخبز، سوق السمن، سوق المخلص (الفضة) سوق الزبيب، سوق النظارة (الزيت والكبروسين) سوق الفتلة (الخيوط) سوق المدر والاسرجه (الدر = الأواني الفخارية، الاسرجه = سروج الدواب) (١).

وقد انتشرت حول الأسواق العديد من السماسر (وكالات) لم يتبقى منها سوى أحد عشرة سمسة تستخدم لتخزين التجارة وسكن أصحاب البضائع وبعضها يستخدم كمصارف لتبادل العملات الفضية والذهبية وبعضها عبارة عن مخازن متخصصة لنوع معين من التجارة مثل سمسة العنب وسمسة النحاس وسمسة الحبوب وسمسة البهارات (الحوائج) (٢).

(١) السياغي، حسين أحمد: قانون صنعاء في القرن الثاني عشر الهجري، ص ١٨ - ٤٣، زين بن علي

عنان: المرجع السابق، ص ٣٨.

(٢) عبد الرحمن الحداد (د): المرجع السابق، ١٦٤ - ١٦٥

ولم تكن الحركة التجارية متروكة لهوى أصحابها بل كان هناك قانون خاص يحدد الصورة التى يمكن التعامل بها فى أسواق صنعاء وأقدم قانون عثر عليه يعود إلى سنة ١١٦١هـ أما قبل ذلك فلم نعر على أى قانون .

وقد صدر قانون سنة ١١٦١هـ فى عهد الإمام القاسم عبد الله بن المتوكل أحمد وقد شمل جميع أنواع التجارة والحرف الرفعية والوضيعة من بيع وشراء ونقل وحماله وأجورها إلى جانب تحديد معدلات الريح والمكايل والمقاييس والعقاب والثواب (١) .

وكان كل سوق من هذه الأسواق يأخذ شارعاً بأكمله أو أكثر من شارع حسب حجم الحركة التجارية فيه ولكل سوق منها استقلالية تامة كما كان تجار كل سوق يجتمعون وينتخبون من بينهم شيخاً عليهم ولذلك كانت هذه الأسواق على درجة عالية من النظام والأمن والتطور (٢) .

(١) السهاغى ، حسين أحمد : قانون صنعاء ، ص ٢١

(٢) ر . ب . سرجنت : الطبقات الاجتماعية ، المرجع السابق ، ١٤٣

الفصل الثاني : وصف منازل صنعاء

أولا : وصف واجهات المنازل

ثانيا : التخطيط العام لمنازل صنعاء

أولاً : وصف واجهات المنازل

الواقع أن عمارة صنعاء مرت باطوار من التغيير والتجديد يصعب معها تتبع ملامحها بدقة نظراً لتواتر فن البناء اليمنى وتجانس اساليبه ومواده ورغم ذلك استطاعت المدينة أن تحافظ على اصالتها وطرازها المعماري فما زالت حتى اليوم تزخر بالكثير من اصالتها المعمارية بازقتها واسواقها وميادينها وجوامعها ودورها وبقايا سورها وبديع معمارها الذي لم ينحني أمام التيارات المعمارية الاجنبية الحديثة والقديمة (١) .

وسوف نركز حديثنا في هذا الفصل على أهم ما تتميز به منازل صنعاء وهى :

(أ) الواجهات البديعة التكوين والفنية بالزخارف المختلفة والمتعدد التصميم من طابق إلى آخر .

(ب) تخطيطات منازل صنعاء التى تتميز بالاصالة ومراعاة حرمة البيت وساكنيه وتيسير الراحة لهم .

(١) يوسف محمد عبد الله (د) : صنعاء المدينة العربية ، ص ١٩١

أولا : وصف واجهات منازل صنعاء

تعد واجهات عمائر مدينة صنعاء من الجمال والروعة ما لم يوجد مثله في المدن العربية والاسلامية الاخرى ، لان واجهات منازل صنعاء متشابهة إلى حد كبير بينما واجهات منازل المدن العربية والاسلامية تختلف من واجهة إلى أخرى (١) .

وسبب هذا التشابه في واجهات منازل صنعاء يرجع إلى كونها واجهات ذات وظيفة معمارية وفنية تعبر تعبيرا حقيقيا عن الوظائف التي أعدت من أجلها فمثلا نوع فتحة الشباك ومسطحها تعبر في جميع الاحوال عن الاحتياج الحقيقي لها وأن اختلفت الصورة وهى فى النهاية تعطى تشكيلا جماليا رائعا بما تزخر من زخارف متنوعة (٢) .

أما من حيث مواد البناء فكانت تبنى الطوابق السفلية بالحجر أما الطوابق العليا فتبنى من الاجر والتي سوف نشرحها بالتفصيل فى الفصل الثالث .

ولقد كان جل اهتمام المعمار اليمنى منصبا على الطوابق العليا المبنية من الاجر وكذلك على النوافذ الموجودة فى هذه الطوابق (٣) .

وإذا ما تحدثنا عن الطوابق السفلية المبنية من الحجر فنجد أن الأبواب

(١) عبد الله الشيبه (د) : المرجع السابق ، ص ٥٩

(٢) محمد طلعت الدالى (د) : خصائص العمارة الاسلامية وتميز المعمار اليمنى ، مجلة دراسات يمنية ، عدد ٣٥ ، سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، صفحة ٢٨٥

(٣) غازى رجب محمد (د) : السائر الحصية فى الفن العربى اليمنى (العقود اليمنية) ، مجلة دراسات يمنية ، عدد ٢٨ ، سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، صفحة ٥٩

والمداخل هي الاجزاء ذات الأهمية من الناحية المعمارية والفنية وغالبا ما تكون هذه المداخل متوجة بعقود حجرية مختلفة منها النصف دائرى أو المفصص وتكون هذه العقود محلاة بنقوش وكتابات منفذة على الحجر (١) ، ولا يوجد بهذه الطوابق سوى فتحات صغيرة ضيقة تسمح بدخول بصيص من النور لضاءة الطوابق السفلية وتهويتها على اعتبار ان الطابقين السفليين غير مخصصان لسكنى أهل المنزل وإنما خصص الطابق السفلى لمبيت الحيوانات الأليفة والطابق الذى يليه مخازن لمستلزمات المنزل من الحبوب والخضر وما إليها .

وقد بنيت اركان هذين الطابقين بنوع من الحجر يختلف عن احجار مداميك البناء وغالبا ما تكون الاركان مبنية باحجار الحبش السوداء (البازلت الاسفنجى) كنوع من التحلية والتجميل ويفصل بين كل طابق وآخر كورنيش أو اطار من صفين من حجر الحبش يفصل بينها صف ثالث من نفس الاحجار التى بنى بها باقى البناء . وقد تكون باحجار ملونة أخرى مثل الاحجار ذات اللون الاحمر أو الاخضر أو الابيض ، وإذا ما كانت واجهات المنازل ملاصقة للشارع مباشرة فقد يفتح فى الطابق السفلى عدد من الحوائط وخاصة إذا ما كان المنزل يقع فى احد الأسواق التجارية ويتوج فتحات هذه الحوائط عقود سميكة حتى تستطيع تحمل الضغط الطارد عليها من الطوابق التى تعلوها .

أما واجهات الطوابق العليا والمبنية من الاجر بمثابة سجل غنى بالنماذج

(١) عبد الله الشيبه (د) : المرجع السابق ، ص ٥٩

الرائعة من الزخارف المعمارية والهندسية المتنوعة والمنفذة بواسطة قوالب الاجر على هيئة حلقات وكرانيش بارزة متداخلة مع اصل البناء (١)، حيث يتم عمل اشربة افقية بواسطة الاجر عند نهاية كل طابق على هيئة حزام أو كورنيش يدل على نهاية طابق وابتداء طابق آخر (٢)، تتخذ شكل خيطان متكسران مع بعضهما ويدوران حول المنزل واحيانا يكونان على هيئة اشكال زجاجية أو دالية متصلة تحصر بداخلها اشكال معينة .

وعلاوة على هذه الاشربة الافقية نشاهد اشربة أخرى رأسية تمتد فيما بين فتحات النوافذ على اشكال هندسية متنوعة .

ولكى تظهر هذه الزخارف لمن يشاهدها عن بعد لجأ المعمار اليمنى إلى طلاء الحواف البارزة من قوالب الاجر فى التشكيلات الزخرفية والاطارات وواجهات عقود النوافذ بمادة الجص أو الكلى فتبدوا هذه الزخارف للناس واضحة ناصعة البياض على أرضية بنية اللون والتي تمثل لون قوالب الاجر الطبيعى (٣) وهكذا يظهر الطلاء الجصى الابيض من خلال الافريز الافقى بين الطوابق وكذلك من خلال الاشربة الرأسية التى تتوسط صفوف النوافذ المتراصة تحت بعضها فى ترابط وانسجام .

(١) شيرلى كى : الفن المعماري اليمنى ، ترجمة احمد ضيف الله ، مجلة دراسات يمنية ، عدد ٣٠ ،

سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٢٢١

(٢) يوسف محمد عبد الله (د) : اوراق فى تاريخ اليمن وآثاره ، جزآن ، الطبعة الاولى ، بيروت ،

١٩٨٥ ج ١ ، صفحة ١٢١

(٣) غازى رجب محمد (د) : الستائر الجصية ، ص ٦٢

وهى بذلك تظهر مصادق وصف ابن رسته لمدينة صنعاء فى كتابه (الاعلاق النفيسة) عندما قال (هى مدينة كثيرة الاهل طيبة المنازل بعضها فوق بعض الا أنها مزوقة أكثرها بالجص والاجر والحجارة المهندمة) (١) .

كما تبين صدق وصف أمين الريحانى لمدينة صنعاء فى رحلته اليها سنة ١٩٢٢ م عندما وصفها بقوله (وما هى الا ساعة بعد ارتحالنا من حزيز (٢) ، حتى تراءت لنا رؤوس المآذن ... ثم قباب مساجدها وهى بيضاء تتوهج فى نور شمس ... وبينما نحن ندنوا من (نقم) اذ بدت لنا المدينة ... وكأنها وهى كلها بيضاء سلسلة من التلا الكنسية فى سهل ذهبى منقطع الاخضرار) (٣) .

وتنفرد واجهات منازل صنعاء القديمة بعناصر زخرفية معمارية تتمثل فى النوافذ الوهمية التى تبدو من الخارج على هيئة نوافذ حقيقة وخاصة فى الطوابق المخصصة للنساء (٤) ، وقد لجأ المعمار إلى عمل هذه النوافذ الوهمية كنوع من التناسب والتماثل البديع بين الواجهات ذات النوافذ وتلك التى لا تفتح فيها نوافذ ولذلك نجد واجهات منازل صنعاء تضم خليطا عجيبا من أشكال الفتحات والنوافذ الصغيرة والكبيرة المستطيلة والدائرية ، نفذت بطريقة عفوية وتلقائية محبة اعطت منظرا جميلا

(١) ابن رسته : المصدر السابق ، ص ٩٠ - ١١٢

(٢) حزيز وادى وقرية إلى الجنوب من صنعاء على بعد خمسة كيلو مترات .

(٣) أمين الريحانى : ملوك العرب ، مجلد ١ ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، عبد الله الشيبه (د) : المرجع السابق ، ص ٥٤

(٤) غازى رجب محمد (د) : البهوت القلاعية فى اليمن ، مجلة سومر ، مجلد ٣٧ ، جزء ١ ، ٢

كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨١ م ، صفحة ١٦٣

يخلو من التكرار الممل والنشاز المخل فى أشكال النوافذ وغالبا ما يعلو هذه النوافذ رفارف خشبية تبرز فوق فتحات النوافذ بنحو (٣٠ سم) تعرف محليا باسم (الكنة) تستند على عوارض خشبية مثبتة فى الجدران والغرض من هذه الرفارف هو حماية النوافذ الخشبية المزخرفة من تعرضها لمياه الامطار حتى لا تفسدها وكذلك اضافة مزيد من الجمال على الواجهات تحمله هذه الزخارف من تشكيلات زخرفية هندسية وحيوانية ونباتية .

ويعلو فتحات النوافذ فوق مستوى الرفرف نوافذ أخرى دائرية ش ٢ ، أو مستطيلة جزئها العلوى نصف دائرى أو على هيئة نصف دائرى ، تكسى بستائر من الرخام الشفاف أو الجص المفرغ أو المعشق بالزجاج الملون فى تشكيلات رائعة متنوعة بحيث تصل أشعة الشمس من خلالها إلى داخل الحجرات ملقية ضلالا من الألوان المختلفة .

ويتوج واجهات المنازل فى صنعاء شرافات متعددة منها ماهو على شكل شرافات مسننة أو على هيئة بائكات قصيرة ذات عقود نصف دائرية أو عقود حدوة فرس مغطاة بستائر مخرمة أو مسدودة أو على هيئة جدران بارتفاع ١٠٠ سم تحف بسطح الدار بغرض منع سقوط الاطفال اذا ما صعدوا على سطوح المنازل وكذلك حجب من يجلس فى سطح الدار من النساء والرجال للراحة حتى لا يشاهدوا من الدور المجاورة .

ثانيا : التخطيط العام لمنازل صنعاء

يتجلى معمار مدينة صنعاء فى تلك الدور والمنازل التى يصدق عليها قول القائل (اذا صح القول ان حضارة اليمن تنعكس فى معمارها فان مدينة صنعاء لاريب هى مثلها الاروع) (١) ودور صنعاء ليست موعلة فى القدم ولكن طابعها الانشائى متطور يتسم بمستوى راق من الرفاة والجاذبية والجمال ... فلا تكاد توجد بقعة أخرى فى العالم يمثل هذه النسبة العالية من المساكن ذات الطابع الفريد المتوارث عن حضارات شادت القصور والسدود (٢) فقد برع الفنان المعمارى اليمنى فى العصر الاسلامى فى تشييد المنازل والدور التى انفردت بأسلوب تخطيطها وفن بنائها وزخارفها الرائعة التى تميزت عن مثيلاتها فى العالم الاسلامى (٣) .

فلا تزال مباني مدينة صنعاء محتفظة بهندستها المعمارية العربية القديمة التى تتميز بارتفاعاتها المتفاوتة التى تتراوح فيما بين ٤ - ٩ طوابق حسب الحالة الاقتصادية لصاحب المنزل وكذلك حسب عدد أفراد الأسرة الذين يعيشون فى الدار ويتوج هذه الدور من أعلى غرفة مستطيلة فى الغالب تعرف باسم (المفرج) .

وعلى ذلك يمكننا القول أن منازل صنعاء تكاد تكون متشابهة فى تخطيط طوابقها حيث انها تتساوى فى كثير من الاحيان فى عدد الوحدات المكونة لها وكذلك فى مواقعها من المنزل كما سنبينه فى الصفحات التالية ، ونادرا ما نجد فى بعض الدور مجلس يسمى الديوان

(١) يوسف محمد عبد الله (د) : أوراق فى تاريخ اليمن ، ج ١ ص ١٠٧

(٢) يوسف محمد عبد الله (د) : أوراق فى تاريخ اليمن ، ج ١ ، ص ١٠٨

(٣) غازى رجب محمد (د) : الستائر الجصية ، ص ٥٩

والذى يحتل جزء من الطابق الأول المطل على الشارع وهو مستطيل الشكل يستخدم كمجلس لتناول القات والحفلات ولكن يغلب وجود هذا الديوان فى أكثر المنازل أما فى الطوابق العليا وأما فى الحديقة .

كما يلاحظ أن غرف أو حجرات المنازل تفتح على قاعة وسطى مربعة أو مستطيل حسب تخطيط المنزل وهذه القاعة تعرف باسم (الحجرة) حيث تعتبر كقاعة يتم من خلالها الوصول إلى غرف المنزل المختلفة .

ويتم الدخول إلى هذه المنازل عبر أبواب رئيسية تطل على شوارع المدينة الضيقة والتي غالبا ما تمتد من الشرق إلى الغرب وإن كانت بعض المنازل تتوسط حديقة صغيرة أو فناء .

أما من حيث التخطيط العام لمنازل صنعاء فإنها تكون مستطيلة أو مربعة ، الطابق الأرضى فيها فى الغالب غير مسكون أما الطوابق العلوية فهى مخصصة للسكن وهى فى الغالب متشابهة التخطيط أن لم تكن متماثلة لأن كل طابق يتبع تخطيط الطابق الذى يقع أسفل منه (١) .

وبما أن تخطيط منازل صنعاء كما سبق الذكر يكاد يكون متماثل من منزل إلى آخر فأننى سوف أقوم بدراسة التخطيط العام لهذه المنازل بشكل عام لأن التخصيص فى شرح تخطيط معين لمنزل معين سوف لا يعطى التخطيط حقه وسوف يغمط حق التخطيطات الأخرى فى المنازل الأخرى وأن كنت سوف أشير فى خلال حديثى هذا إلى نماذج من هذه التخطيطات وهذا لا يعنى أن ما ذكره ينطبق على التخطيط المشار إليه فقط بل أنه ينطبق على أى منزل آخر فى صنعاء .

(١) عبد الله الشيبه (د) : المرجع السابق ، ص ٥٧

وفيما يلي وصف تفصيلي لتخطيطات منازل صنعاء .

أولا : الطابق الأرضي

يتكون الطابق الأرضي من عدد من الحجرات مرتبة في صفين يفصل بينهما دهليز مستطيل ينتهي في الغالب بالسلم المؤدى إلى الطوابق العليا وإلى جوار السلم توجد غرفة صغيرة تعرف باسم بيت المطحن وهذه الغرفة مخصصة لطحن الحبوب بواسطة المطحن (الرحا) المصنوعة من قرصين مستديرين من الحجر فوق بعض ، القرص السفلي يتوسطه ثقب يوضع فيه عمود خشبي يستند على الأرض ينتهي من اعلاه بقمة مخروطية ، أما القرص العلوي من الرحا فيتوسطه أيضا ثقب قسم إلى نصفين بواسطة قطعة خشبية مستعرضة يستند بواسطتها القرص العلوي على قمة العمود المخروطية ، ويتم إدارة القرص العلوي بواسطة وتد مثبت في أحد جوانبه وتوضع الحبوب في الثقب الأوسط حيث تهبط إلى ما بين قرصي الرحا فتطحن دقيقا .

أما بقية حجرات الطابق الأرضي الموجودة على جانبي الدهليز فتستخدم كماوى للحيوانات الاليفة بحيث يخصص لكل نوع منها حجرة خاصة .

وهذه الحجرات تفتح بأبواب واسعة على الدهليز السابق ذكره ، وقد تستخدم بعض هذه الحجرات كمخازن لقطع الاخشاب التي تستخدم كوقود في المطابخ .

وهذا الطابق يظهر وكأنه حصن حربى نظرا لخلوه من الفتحات الكبيرة فيما عدا بعض الفتحات الصغيرة لغرض التهوية والاضاءة . كما يحتوى

هذا الطابق على غرفة حبيى مغلقة تماما من الداخل وليس لها سوى فتحة صغيرة محكمة الاغلاق على مستوى الشارع ، وهذه الغرفة تقع أسفل الحمامات بحيث تتساقط اليها المخلفات البشرية من تلك الحمامات عبر مجرى خاص وعندما تمتلئ تلك الحجرة يقوم عامل خاص من السوق برفع غطاء هذه الحجرة واخراج المخلفات ونقلها إلى خارج المدينة (١) .

أما السلم فغالبا ما يقع فى نهاية الدهليز حيث تدور درجاته حول دعامة مركزية مربعة أو مستطيلة مبنية من الحجر تعرف باسم (القطب) أو (عروس البيت) والتي ترتفع مع البناء من الأساس حتى سطح الدار عبر دورات متتالية كل منها يفتح على طابق من طوابق المنزل المتعددة وقد بنيت درجات السلم بكتل حجرية على هيئة بلاطات مستطيلة حشر أحد طرفيها داخل الجدران المجاورة للسلم والطرف الآخر داخل قطب السلم ، وقد فتحت فى الجدران الخارجية فتحات مستطيلة مغطاة من الخارج بواسطة مشربيات حجرية أو أجرية لتهوية وإضاءة السلم وكذلك لوضع كيزان الماء فيها لتبريدها .

كما يضم الطابق الأرضى فى الغالب على بئر ماء ينزخ منه الماء الذى يستخدم فى الغسيل فقط أما المنازل التى يحيط بها فناء فتوجد أبارها فى الفناء .

وفى هذا الطابق أيضاً وخاصة فى المنازل التى تقع على الشارع الرئيسى عادة ما تفتح فى الواجهات حوانيت تؤجر للتجار ولذلك نجد

(١) . Lewcock, Op. cit., P. 67 .

شوارع بكاملها مخصصة لنوع معين من التجارة وكل شارع منها يسمى سوق مثل سوق الذهب سوق العنب ... الخ .

أما عن تسميات حجرات هذا الطابق فتسمى حسب الشيء الموضوع فيها فمثلا حجرة الطحن حجرة الحطب ، حجرة البقر ، حجرة الغنم ، حجرة الحمير .

ثانيا : الطابق الأول

يشتمل هذا الطابق على عدد من الحجرات يختلف حجمها من منزل إلى آخر يتوافق تخطيطها مع تخطيط الطابق الأرضي ، ويعرف هذا الطابق باسم (الطبقة) وتستخدم حجراته كمخازن للحبوب المختلفة من القمح والذرة والشعير والخضروات الجافة ، البطاطس والفاصوليا والعدس ... الخ ، حيث تخزن داخل أواني حجرية أو فخارية يبلغ ارتفاعها واحد متر توضع بجانب بعضها بجوار الجدران (١) ويتم تغطية هذه الأواني باغطية فخارية ذات اسطح مقببة بها فتحات صغيرة للتهوية وتعرف هذه الأواني باسم (احقب) (٢) .

ويوجد أحيانا في هذا الطابق وخاصة في منازل عليا القوم وخاصة القضاء غرفة مستطيلة تقع فوق المدخل مباشرة تعرف باسم (المحاكم) وتستخدم مجلسا يجلس فيه القاضى للفصل في القضايا الشرعية بين المتنازعين بعد أن ينتهى من العمل في المحكمة صباحاً .

كما أن هذا الطابق عادة ما يضم حجرة تخصص لاقامة من يفد على صاحب الدار من عماله الذين يعملون في زراعة ممتلكاته من الأراضي في

(١) . Lewcock , Ibid., P. 69 - 70 (٢) زيد بن علي عنان : المرجع السابق ، ص ٤٠

الأرياف (١) ، كما قد يشتمل هذا الطابق فى بعض المنازل على قاعة مستطيلة تمتد بامتداد الواجهة الرئيسية للمنزل تعرف باسم (الديوان) وأن كان الغالب وجود الديوان فى الطابق الثالث .

ويستخدم الديوان كمكان لجلوس ضيوف صاحب الدار وخاصة فى حفلات السبوع والزفاف ويفتح الديوان بباب على حجرة الوسط التى تقع فوق دهليز الطابق الارضى يعلو الباب نوافذ معقودة بعقود نصف دائرية مغطاة بالواح الرخام الشفاف المعروفة باسم (القمرية) أو بستائر من الجص المعشق بالزجاج الملون (٢) وكذلك الحال بالنسبة للنوافذ المطلة على الشارع .

ثالثا : الطابق الثانى

يبنى هذا الطابق وما يعلوه من طوابق بواسطة قوالب الأجر تخفيفا للضغط الطارد على الاساسات ، ويتم الوصول إلى هذا الطابق من السلم عبر فتحة باب يغلق عليها باب خشبى مزين بزخارف محفورة ، يؤدى الباب إلى قاعة وسطى تعرف باسم (الحجرة) تفتح عليها أبواب الوحدات السكنية من غرف وحمامات ومطابخ ويتفاوت عدد الغرف فى هذا الطابق من منزل إلى آخر حسب المساحة والتخطيط .

وغالبا ما يكون هذا الطابق مخصص لأسرة صاحب المنزل من النساء والأطفال وتطل غرف هذا الطابق على الشارع بنوافذ ذات اعتبار مخفضة الارتفاع والذى لا يزيد عن ٤٥ سم ، يغلق عليها مصاريع

(١) اسماعيل بن على الاكوع : لحة تاريخية عن صنعاء ، مجلة الاكليل ، عدد ٥ ، سنة ١٤٠١ هـ /

١٩٨١ م ، صفحة ١٠

(٢) زيد بن على عنان : المرجع السابق ، ص ٤٠ و شيرلى كى : المرجع السابق ، ص ٢٢١

خشبية^(١) وأحيانا تغشى بمشريات خشبية تسمح للنساء بمشاهدة ما يجرى فى الشارع دون أن يراهم أحد ، ويعلو النوافذ صف آخر من النوافذ المعقودة المغشاة بالواح رخامية شفافة أو بسائر من الجص المخرم أو المعشق بالزجاج الملون^(٢) والمعروفة باسم القمرية .

وتوجد على جدران غرف هذا الطابق من الداخل وعلى ارتفاع قامة الإنسان أرفف جصية أو خشبية توضع عليها أدوات الزينة وغيرها من الأدوات الصغيرة وتغطى الجدران وأسقف الغرف بطبقة من الجص ويزين الجدران العديد من الزخارف الكتابية والهندسية والنباتية .

رابعا : الطابق الثالث وما يليه من طوابق

تكاد الطوابق التى تعلو الطابق الثانى تتشابه فى تخطيطها مع الطابق الثانى بصرف النظر عن عدد هذه الطوابق فكل حجرة أو غرفة تقع فوق الحجرة أو الغرفة التى تحتها وتمثلها فى التخطيط وكل طابق من الطوابق العليا مخصص لعدد من أفراد الأسرة سواء أكانوا متزوجون أم عزابا فإذا ما كانوا متزوجون فيخصص لكل فرد مع زوجه طابق من طوابق المنزل أما إذا كانت الدار مخصصة لأسرة واحدة وليس بين أفرادها متزوجون غير الأب والأم فيخصص طابق للأولاد الذكور وطابق للبنات وطابق لرب الأسرة وزوجته سواء أكانت هى أم الأولاد أم لا ومعهم الأطفال الصغار الذين لم يبلغوا الحلم ولكل طابق منها اسما فالطابق المخصص للأولاد الكبار يعرف بطابق الرجال ومثله طابق النساء وفى بعض حجرات الرجال والنساء مقصورات صغيرة مقطوعة من الغرفة تسمى باسم (الكمه)

(١) Lewcock , OP. cit., P . 71 .

(٢) غازى رجب محمد (د) : السائر الجصية ، ص ٦٤

يستخدمها أحد أطفال الأسرة كحجرة خاصة به كما يوجد في كل حجرة من حجرات الطوابق السكنية خزانات للملابس تعرف باسم (المغفرة) تحفظ فيها الملابس والحلى ومحتاجات الغرفة .

وعادة ما يوجد في الطابق الثالث (الديوان) الذى يستعمل فى الحفلات والمناسبات وجلسات تناول القات والمداعة (الشيشة) فى العطل الاسبوعية (١) كما يوجد فى الطابق الرابع أو الخامس غرفة خاصة تعرف باسم (مكان الوسط) مخصصة لاجتماع العائلة كلها رجالا ونساءً وأطفالاً للتسامر والتسلية والقاء النوادر الفكاهية وتبادل الحديث واستعراض مشاكل الأسرة الفردية والجماعية .

خامسا : المفرج والمنظر

الواقع أن أهم ما يميز منازل صنعاء وجود غرفة تقع فى أعلى جزء من الدار تسمى المفرج وهى عبارة عن غرفة مستطيلة تختلف ابعادها من منزل إلى آخر ، يتقدمها من الجهة الشمالية غرفة بنفس عرض المفرج تسمى الحجرة ويفصل بين المفرج والحجرة باب عريض يفتح بعرض المفرج مقسم إلى عدة مصاريع منطبقة تفتح وقت الجلوس فى المفرج .

وعادة ما تكون هذه الغرفة فوق قطب الدار أى فوق آخر جزء من السلم والمفرج يختلف عن المنظر لأن الأول بينى فوق قطب السلم أما المنظر فإنه بينى فوق أعلى غرفة من الطابق الأخير وقد سميت هذه الحجرة باسم (المنظر أو المنظره) لأن جزء منها يبرز خارج الجدران الاصلية للدار فيما يشبه البلكونة حيث يمد فوق الجدران العلوية لأخر طابق قوائم

(١) . Lewcock , OP. cit., P . 73

خشبية تشبه الكوابيل يبنى عليها الجزء البارز من المنظره فترى وكأنها معلقة فى الهواء نظرا لارتفاع الدار

وكلمة المنظر ليست جديدة على عمارة منازل صنعاء وكذلك الحجرة نفسها فقد توورث الاسم والمسمى من حضارة ما قبل الاسلام حيث ذكر الهمدانى وكثير من المؤرخين غيره أن قصر غمدان المكون من عشرين طابقا والذي كان موجود فى صنعاء كانت تعلوه غرفة مستطيلة تسمى المنظر حيث ذكر الهمدانى أن (غرفة الرأس العليا مجلس الملك اثنى عشر ذراعا عليها حجر من رخام وكان فى زواياها الاربعة أربعة أسود من نحاس أصفر خارج صدورهما فاذا هبت الريح فى أجوافها زارت كما يزار الأسد وكان يغطى هذه الغرفة بلاطة من رخام شفاف مثمثة الشكل إذا ما مر طيرا اعلاها شاهدة الجالسون فى الغرفة) (١) .

وكانت هذه الغرفة تسمى المنظر كما قال الشاعر :

يسمو إلى كبد السماء مصعدا عشرين سقفا سمكها لا يقصر
إلى أن قال :

ينبوع ماء لا يصرد شربها وبرأسه من فوق ذلك منظر (٢)

وهنا يمكن تفسير كلمة المنظر الاسم والمسمى لأنها مأخوذة من النظر بمعنى المشاهدة بالعين ويكون النظر من اعلى اشمل وأعم ولذلك اقتبى اسم المنظر من النظر لعلوه واشرافه على ما حوله .

(٢) الهمدانى : الاكليل ، ج ٨ ، ص ٥٠

(١) الهمدانى : الاكليل ، ج ٨ ، ص ٥٩

ويتميز الفرج باتساع نوافذه وارتفاعها وغالبا ما تفتح على ثلاث جهات (١) كما تتميز هذه النوافذ بانخفاضها إلى قرب أرضية المفرج بحيث تتيح للجالس فيه التمتع بالنظر عبر الافق من خلال تلك النوافذ ولذلك سمى باسم المنظر أو المفرج لأنه للفرجه والنظر (٢) .

ويعلو فتحات النوافذ صف آخر من النوافذ المعقود باتساع النوافذ السفلية يغشيها الواح من الرخام الشفاف أو ستائر من الجص المحرم والمغشق بالزجاج الملون (٣) .

أما جدران المفرج أو المنظر فمزينة بأبداع الزخارف الجصية المحفورة لعناصر هندسية ونباتية وكتابية تشتمل على آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأبيات من الشعر وأدعية ... الخ (٤) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الوحدات المكونة للمنزل سواء الموجودة في الطابق الأرضي والأول أو الطوابق العليا يتم تسميتها حسب الشيء المخزون فيها أو حسب اتجاهها من الجهات الأصلية فمثلا هناك بيت البقر وبيت الغنم وبيت المطحن بالنسبة للطابق الأرضي وكذلك حجرة القمح وحجرة الشعير ... الخ ، بالنسبة للطابق الأول أما طوابق السكن فتسمى حسب اتجاهها مثل المكان العدني أو المنطرة العدنية بالنسبة لتلك التي تقع في الجهة الجنوبية من المنزل - نسبة إلى اتجاه عدن في الجنوب - وأيضا المكان القبلي أو المنظر القبلي بالنسبة لتلك التي تقع في اتجاه الشمال وهلم جرا .

(١) . Lewcock , OP. cit., P . 75 .

(٢) يوسف محمد عبد الله (د) : أوراق في تاريخ اليمن ، ج ١ ، ص ١٢٢

(٣) غازی رجب محمد (د) : الستائر الجصية ، ص ٢٨

(٤) . Lewcock , OP. cit., P . 76 .

سادساً : الحمامات :

يمثل الحمام إحدى العلامات البارزة لمعمار صنعاء ويطلق على الحمامات اسم مطاهير جمع (مطهار) أو متراح ^(١) والحمامات فى الغالب مستطيلة الشكل تغطى ارضياتها وجدرانها حتى ارتفاع قامة الإنسان بطبقة سميكة من القضاض ^(٢) ويحتوى الحمام على مرحاض مكون من مصطبة حجرية يتوسطها فتحة دائرية تتصل بمجرى ساقط يصل إلى حجرة تجميع الخلفات فى الطابق الأرضى المشار إليها سابقا ويتصل هذا المجرى بجميع الحمامات فى مختلف طوابق المنزل لأنها فى العادة تكون فوق بعضها وعندما تمتلئ الحجرة يقوم عامل خاص بنزع الخلفات منها ثم يعيد غلقها باحكام حتى لا تتسرب رائحتها إلى داخل المنزل ^(٣) كما يوجد وسط الحمام زوج من الحجارة ذات شكل مربع (١٢ X ١٢ سم) تتقدمها انية حجرية اسطوانية الشكل تملأ بالماء من زير مصنوع من الفخار يحتل إحدى زوايا الحمام حيث يقف الشخص للوضوء والاستحمام على زوجى الحجارة . ومما يجدر الاشارة إليه أن المياه المستعملة فى الحمام لا يتم تصريفها عبر مجرى المطاهير حتى لا تختلط بالخلفات وإنما يتم تصريفها عبر مجرى آخر مكون من أنبوب مغيب فى الجدران حيث يتصل بمجرى آخر مكشوف ملتصق بالجدران من الخارج عبارة عن طبقة من القضاض ^(٤) على هيئة شريط رأسى

(١) الرازى : المصدر السابق ، ص ١٤٦ ، Lewcock , OP. cit., P . 72 .

(٢) القضاض : انظر هامش ٢٣ .

(٣) عفيف بهنسى (د) : حماية مدينة صنعاء ، مجلة اليمن الجديد ، عدد ١٢ ، سنة ١٨ ، ١٤١٠ هـ .

/ ١٩٨٩ م ، صفحة ٥٥

(٤) Lewcock , OP. cit., P . 72 .

تتصل به بقية أنابيب الحمامات حيث ينساب عليه الماء إلى بالوعة تسمى (قوعه) محفورة في الشارع يتم نزح المياه منها كلما امتلئت (١) .

سابعا: المطابخ :

من المعتاد في منازل صنعاء أن تكون المطابخ في موقع يسمح بخدمة جميع أقسام المنزل وخاصة إذا ما كان الدار يحتوى على مطبخ واحد فقط ولذلك فإن أغلب المطابخ توجد في الطابق الأوسط وبالتحديد في الطابق المخصص للنساء وذلك لتسهيل حركة النساء في الدخول إليه والخروج منه دون أن يشاهدن أحد من الضيوف .

وبعض المنازل يوجد المطبخ فيها في الطابق الأخير حيث تبني مستقلة في السطح وأحيانا يوجد بجانبها غرفة أو أكثر كمخازن لمستلزمات وأدوات المطبخ وكذلك كمكان لاستراحة النساء أثناء أعداد الطعام .

والمطبخ في العادة عبارة عن حجرة مستطيلة يوجد في ضلعها الشمالي مصطبة مرتفعة عن مستوى الأرض بحوالى ١٠٠ سم مبنية من الحجر أو الطوب اللبن مقسمة إلى قسمين أو أكثر يوضع في كل قسم منها مواقد برميلية الشكل تسمى (التنور) مصنوعة من الفخار جزئها العلوى مفتوح على اتساعه وفى أسفل المصطبة وجسم التنور فتحة دائرية لتغذية التنور بقطع الخشب لاذكاء نار التنور إذا ما خبت ، ويعلو المصطبة عدد من المداخلن (٢) تعرف باسم (السيه) تعلوها اسقف جملونية تسمح بتصريف الدخان (٣) كما يوجد بالمطبخ مكان مخصص لغسل

(١) غازى رجب محمد (د) : البيوت القلاعية، ص ١٦٢ (٢) . Lewcock , OP. cit., P 74 .

(٣) (٣) غازى رجب محمد (د) : البيوت القلاعية ، ص ١٦٣

أواني المطبخ يعرف باسم (الساحل) يتصل بواسطة فتحة إلى مجرى رأسى ملتصق بالجدار الخارجى يشبه ذلك الموجود فى الحمامات لتصريف المياه .

ويغلب على مساكن صنعاء الا يحتوى الدار على أكثر من مطبخ مهما كان عدد أفراد الأسرة كبيراً وحتى لو كان هناك أكثر من شخص متزوج فى الدار وذلك لضمان عدم تفكك الأسرة والعمل جميعاً على ابقاء الحياة الأسرية مترابطة فهم يتعاونون فى العمل واعداد الطعام ويجلسون لتناوله معا .

أما عن اختيار موقع المطبخ فى اعلى الدار فيرجع إلى عدة أسباب منها :
١ - تيسير تصريف الدخان الناتج عن احتراق أخشاب التنور فلا يصل إلى غرف المنزل السكنية .

٢ - عدم السماح للرائحة المنبعثة من عملية الطبخ إلى غرف المنزل .
٣ - سبب ثالث اجتماعى يتمثل فى حماية النساء من ان يتعرضن للاذى والمضايقة من المتطفلين والأغراب .
٤ - سهولة ايصال الطعام إلى غرفة المفرج .

ثامنا : الفناء

الفناء عبارة عن مساحة من الأرض الفضاء يتوسط المسجد أو المدرسة أو المنزل وقد انتشر استعمال الفناء فى المنازل اليمينية فى المناطق الحارة المطلة على البحر الأحمر مثل مدينة الحديدة وزبيد والمخا وغيرها ، أما منطقة صنعاء والمناطق الوسطى من اليمن فلا توجد فى منازلها أفنية تتوسط المنزل نظراً لبرودة الجو شتاءً واعتداله صيفاً ، ولكن وجدت أفنية

أخرى منها ما كان على هيئة بستان تحيط به المنازل والذي يعرف باسم المقشامه نظرا لاستخدام هذا البستان فى زراعة الخضروات من البقوليات كالبقول والبصل والكرات والبصل والجزر ... الخ ، والتي تحتاجها المنازل حيث تحول الفناء فى منازل صنعاء إلى حديقة خارجية تفتح عليها المنازل (١) .

وهناك نوع آخر من الافنية وهو ذلك الذى يفصل بين دارين وهو عبارة عن مساحة مكشوفة لها باب واحد وتطل أبواب الدارين على الفناء وهذا النوع من الافنية غالبا ما يتم تبليطه بالحجار الحبش (البازلت الاسفنجى) .

وهناك نوع ثالث من الافنية وهو عبارة عن حوش يحيط بالمنزل من جميع الجهات يستخدم كمنتقى لافراد الأسرة وعادة ما يوجد به بئر ماء ينزح منها الماء اللازم لرى البستان وسقى المواشى وعمليات التنظيف كما يوجد أحيانا بهذا الفناء غرفة مستطيلة تعرف باسم (الديوان) أو مفرج القيلولة .

وهذا النوع من الافنية هو الشائع فى منازل مدينة صنعاء وخاصة فى بيوت أعيان المدينة .

وهناك نوع رابع من الافنية التى تتوسط المنزل ولا يوجد هذا النوع سوى فى منازل اليهود فى حى قاع اليهود حيث اعتاد اليهود على السكن فى بيئة خاصة تتسم بالحذر والخوف والسرية لذلك فان منازلهم لا ترتفع أكثر من ثلاثة طوابق وليس لها نوافذ على الشارع وأن وجدت فهى

(١) محمد طلعت الدالى (د) : المرجع السابق ، ص ٢٤٦

ضيقة جدا ، حيث تفتح النوافذ الاساسية على الفناء الأوسط الذى تحيط به الحجرات من ثلاث جهات أما الجهة الرابعة ففيها باب السلم (١) ويستخدم الفناء فى منازل اليهود للدخول من دار إلى آخر دون الخروج إلى الشارع وذلك عبر أبواب سرية موجودة فى الفناء أو فى السلم ولذلك كان من الصعب فى أثناء تواجدهم فى اليمن القبض على أحدهم أو كشف أسرارهم نظرا لتنقلهم من دار إلى آخر عبر تلك الأبواب والممرات السرية التى لا يراهم فيها احد .

تاسعاً : ملحقات أخرى

تشتمل بعض منازل صنعاء على دواوين مستقلة عن الدار يتم بناؤها فى فناء أو حديقة المنزل ، وتتميز هذه الدواوين بأنها أكثر طولاً واتساعاً من تلك الموجودة فى الدار كما تتميز بأن واجهاتها الجنوبية تفتح على هيئة بوائك معقودة الجزء السفلى منها تغلق عليها مصاريع خشبية تفتح أثناء الجلوس يعلوها ستائر جصية كبيرة ويتقدم الديوان ظلة محمولة على بائكتيه من العقود بعدد نوافذ الديوان كما يطل الديوان من خلال نوافذة على فسقية فى الحديقة تعرف باسم (الشاذوران) (٢) .

وهذا النوع من الدواوين لا يقوم ببناؤه إلا أثرياء المدينة وعليه القوم نظرا لكثرة المترددين عليهم من الأهل والأصدقاء فيتخذون من الديوان مكانا للراحة وتناول القات واقمة المناظرات والندوات وكذلك الولائم والحفلات .

(١) غازى رجب محمد (د) : البيوت القلاعية ، ص ١٦٣

(٢) يوسف محمد عبد الله (د) : أوراق فى تاريخ اليمن ، ج ١ ، ص ١٢٢

الفصل الثالث : العناصر المعمارية والزخرفية

أولا : العناصر المعمارية

مواد البناء - أسلوب البناء - المداخل - النوافذ - التغطيات

ثانيا : العناصر الزخرفية

العناصر النباتية - العناصر الهندسية - العناصر الحيوانية - العناصر الكتابية

أولاً : العناصر المعمارية

حفلت منازل مدينة صنعاء بالعديد من العناصر المعمارية والزخرفية التي تتناسب مع بيئة صنعاء الجبلية وطقسها البارد من حيث استخدام مواد بناء تمنع انتقال برودة الجو الخارجى المحيط بالمنزل إلى داخله أو من حيث توزيع الوحدات السكنية على واجهات المنزل المختلفة .

كما وضع المعمار فى اعتباره التمسك الشديد بالناحية الدينية من حيث مراعاة حرمة الدار وساكنيه وخاصة النساء لذلك جاءت فتحات المداخل والنوافذ مراعية لهذه الناحية .

أما بالنسبة للعناصر الزخرفية فقد تميزت منازل صنعاء بواجهاتها المزخرفة بأبدع الزخارف النباتية والهندسية والحيوانية والكتابية فضلاً عن تغطيتها بطبقة من الجص الأبيض بحيث تبدو هذه الزخارف البيضاء وكأنها نجوم تلتألأ فى ظلام الليل .

أولاً : العناصر المعمارية :

استخدم المعمار اليمنى الصناعى العديد من العناصر المعمارية التي ورثها عن ابيه واجداده منذ حضارة ما قبل الإسلام وحتى اليوم سواء من

حيث مواد البناء أو الأسلوب البنائى الذى نفذت به المنازل وكذلك العناصر الأخرى كالعقود والنوافذ والتغطيات ومن أهم هذه العناصر :-

١ - مواد البناء :

استخدم المعمار اليمنى فى صنعاء نوعين رئيسيين من مواد البناء وهما الحجر والآجر وهاتين المادتين تتوافر فى البيئة اليمنية بكثرة نظرا لغلبة التكوين الجبلى لبلاد اليمن وخاصة فى المناطق الوسطى .

(أ) الاحجار :

تختلف الاحجار المستخدمة فى بناء الاساسات عن تلك التى يبنى بها الطابقين الأرضى والأول ، فقد بنيت الاساسات باحجار بازلتية بركانية سوداء غير منتظمة الشكل و باحجام مختلفة تعرف باسم (الحعم) وكان أهل صنعاء يجلبونها من مجارى السيول أو يقتطعونها من الجبال المحيطة وفى كثير من الاحيان كانوا يأخذونها من بقايا المدن والاثار القديمة التى تعود عصر ما قبل الاسلام ، فقد ذكر ابن المجاور أن أهل صنعاء كانوا يبنون منازلهم وخاصة الاساسات بالحجر القديم حيث يقومون بحفر الاساسات القديمة للمباني ويستخرجون منه الواح حجرية طويلة طول اللوح منها أربعة اذرع وعرضها أربعة اذرع ، ثم تكسر تلك الاحجار ويبنى بها (١) وتتميز هذه الاحجار بصلابتها الشديدة ونعومة سطحها وقلة مساميتها مما يساعد على مقاومة الرطوبة (٢) .

أما الطابقين الأرضى والأول فقد بنيا باحجار بازلتية سوداء بارتفاع

(١) ابن المجاور : المصدر السابق ، ص ١٩٠

(٢) عبد القوى طالب (مهندس) : المرجع السابق ، ص ٢٩٠

يصل إلى خمسة مداميك ثم اكمل هذين الطابقين بالحجار بيضاء مربعة ومنحوتة نحتا جيدا حتى ارتفاع (٦ - ١٠ امتار) فوق مستوى الشارع (١) .

كما بنيت اركان هذين الطابقين بالحجار تختلف عن احجار البناء الاصلى وغالبا ما تستعمل فى ذلك احجار البازلت الاسفنجى المعروفة محليا باسم (حجر حبشى) (٢) والتي تتميز بصلابتها الشديدة وخفة وزنها وفى نفس الوقت سهولة نحتها وتشكيلها وكثيرا ما تستعمل هذه الاحجار فى عمل الاحزمة الافقية (كورنيش) التى تتوج نهاية كل طابق من طوابق المنزل المتعددة حيث تدل على نهاية طابق وابتداء طابق آخر .

(ب) الأجر :

استخدم الأجر فى بناء الطوابق العليا بدءا من الطابق الثانى إلى نهاية البناء وعادة ما تكون قوالب الأجر مربعة الشكل (١٦ر٥ X ١٦ر٥ سم) بسمك (٤ سم) (٣) وقد فضل المعمار اليمنى استخدام مادة الأجر فى البناء رغم توفر مادة الاحجار بكثرة فى الجبال المحيطة بصنعاء لعدة أسباب من أهمها :

١ - خفة وزن قوالب الأجر مما يخفف الضغط الطارد على الطوابق السفلى والاساسات نظرا لتعدد طوابق المنزل ، والتي قد تصل إلى أكثر من تسعة طوابق .

(١) . Lewcock , OP. cit., P . 65 .

(٢) حجر الحبش : هى احجار البازلت الاسفنجى سوداء اللون تتخللها ثغوب صغيرة تشبه الفقاعات

(٣) Lewcock , OP. cit., P . 65 .

٢ - تكلفة الاجر أقل بكثير من تكلفة الاحجار التى تتطلب مجهودا كبيرا فى استقطاعها من الجبال ثم نقلها ونحتها وهندمتها .

٣ - مادة الاجر تكتسب الحرارة بسرعة ونفقدتها ببطء مما يساعد على تدفئة المنزل ليلا بواسطة الحرارة التى اكتسبتها طوال النهار .

٤ - سهولة استعمال قوالب الاجر فى عمل تشكيلات زخرفية تزين الواجهات .

وإلى جانب الاحجار والاجر استخدمت قطع الاخشاب المستطيلة الشكل بين مداميك البناء حيث توزع القطع الخشبية بواقع قطعة لكل خمسة أو ستة مداميك بغرض تسوية المداميك وتوزيع الحمل على الجدران وترباطها .

كما استخدم الخشب فى عمليات التسقيف وتغطيات فتحات النوافذ والمداخل ومن أهم أنواع الخشب المستخدم فى منازل صنعاء : السدر والطلح والطنب والقرض التى تتوافر بكثرة فى البيئة اليمنية إلى جانب الاخشاب المستوردة كالساج الهندى والارز والزان .

كذلك استخدم الجص فى تكسية الجدران وتفشية الزخارف وكذلك فى عمل الستائر الجصية والارفف ، كما استخدمت الواح الرخام فى عمل تفشيات النوافذ وتبليط ارضيات وجدران الحمامات .

كما استخدم التبن والقش المخلوط بالطين أو الجص أو النورة مع الاوظار (١) فى عمل المونة التى تربط بين احجار المداميك .

(١) الاوظار : هى كسرات الاحجار الصغيرة الناتجة عن نحت وهندمة احجار البناء .

٢ - أسلوب البناء :

بنيت أساسات منازل صنعاء على عمق يتراوح فيما بين ١ - ٢ م بواسطة الاحجار الشديدة الصلابة السابق الاشارة اليها ، حيث كان يتم حفر الاساس للمنزل وتقسيماته الداخلية ثم ترص صفوف الاحجار ويملا فيما بينها بقطع من احجار الدبش ثم يتم ردم جوانب جدران الاساس بتربة طينية وبرش عليها الماء حتى يتسرب الطين مع الماء لكى يملا الفراغات بين الحجار بحيث لا يترك مجالا لتحرك احجار الاساسات ويذكر لنا ابن الجاور (ان أهل صنعاء يبنون بالحجارة ، وبنائهم على تقاطيع بغداد) (١) .

ويكون سمك جدران الاساسات أكبر من سمكها فى الجدران العلوية مع اختلاف السمك من منزل إلى آخر حسب ارتفاع المنزل وفى المتوسط يبلغ سمك الاساس ما بين ٨٠ - ١٢٠ سم (٢) .

اما جدران الطابقين الارضى والاول فقد بنيت بطريقة مزدوجة يتكون كل جدار منها من صفين متلاصقين ومتداخلين فى بعضهما ، الصف الخارجى منها يسمى (الظهارة) والصف الداخلى يسمى (البطانة) وحجارة الصف الخارجى هى التى يوليها المعمار أكبر درجة من العناية فى نحتها وتهذيبها بحيث ترص فى صفوف أفقية منتظمة متساوية فى الارتفاع ودون ان يترك فيما بينها أى فواصل ، ويعرف هذا النوع من البناء فى صنعاء باسم (كفق) (٣) والمقصود به بناء أحجار الصف

(١) ابن الجاور : المصدر السابق ، ص ١٩٠

(٢) عبد القوى طالب (مهندس) : المرجع السابق ، ص ٢٩٠

(٣) عبد القوى طالب (مهندس) : المرجع السابق ، ص ٢٩٠

الخارجى من المدماك دون استعمال المونة بحيث تثبت مع بعضها بواسطة تفريغ الهواء فيما بينها عن طريق صقل الجوانب الخمسة للقطعة الحجرية صقلا جيدا ، فاذا ما وضعت فوق بعضها لا تترك أى فراغات هوائية (١) .

أما أحجار الصف الداخلى (البطانة) فلم يكن المعمار يوليه أى عناية فى النحت والتهذيب ولذلك نُجد أحجاره غير منتظمة الاحجام وذلك لغرض ايجاد فراغات غائرة وبارزة حتى يمكن تغطيتها باكبر كمية من الملاط الجصى حتى يستقيم الجدار بهدف منع تسرب البرودة إلى الداخل وفى نفس الوقت الحفاظ على حرارة الغرفة ، ويتم بناء أحجار البطانة بحيث تتداخل مع احجار الظهارة بأسلوب بنائى يسمى (الحدف) والمقصود به احتضان كل من احجار الصفيين الداخلى والخارجى لبعضهما وهو غير أسلوب العاشق والمعشوق الا تى ذكره ، وهذا الأسلوب متوارث من الحضارات اليمنية القديمة وخير مثال على ذلك جدران سد مأرب التى بنيت بنفس الأسلوب ، ويتم ملئ الفراغات المتبقية بين صفى المدماك بقطع صغيرة من الاحجار تنتج من عملية نحت وهندمة احجار البناء والمعروفة باسم (الاوطار) .

كما يستخدم الاسلوب البنائى السابق فى الجدران الداخلية (القواطع) التى تفصل بين الحجرات .

ويختلف سملك الجدران الخارجية من منزل إلى اخر حسب ارتفاع المنزل وفى المتوسط يبلغ سمكها حوالى ٦٠ سم وقد تستخدم القطع

(١) غازى رجب محمد (د) : البيوت القلاعية ، ص ١٦٠

الخشبية المستطيلة على مسافات متساوية من المداميك كنوع من تسوية استقامة المداميك وكذلك توزيع الضغط الطارد على الجدران ، وهذه الطريقة متوارثة من حضارة ما قبل الإسلام حيث ذكر المؤرخون ان جدران قصر غمدان كانت مبنية بهذه الطريقة لذلك لم يتمكن المسلمون فى عهد عثمان بن عفان من هدم القصر الا بعد أن قاموا باحراق تلك القطع الخشبية (١) .

وإلى جانب الاسلوب السابق استعمل العاشق والمعشوق أو الذكر والانثى فى عمليات بناء صفوف المداميك وخاصة فى الجدران المبنية من الحجر ، ويتم ذلك عن طريق عمل ثقب فى الوجه الاعلى للقطعة الحجرية وبروز فى الوجه الاسفل للقطعة أيضا بحيث اذا ما وضعت فوق بعضها يسقط الجزء البارز فى ثقب القطعة الحجرية التى تحته . وهذه الطريقة وجدت أيضا فى العمارة اليمنية القديمة على جدران سد مأرب السبئ واسوار مدينة هراقل المعينية .

٣ - المداخل :

تختلف المداخل من منزل إلى اخر من حيث الاتساع والارتفاع والشكل وعادة ما يحتل المداخل الضلع الجنوبى من المنزل وأحيانا يتقدم بعض المداخل سلم ~~بمعرض~~ ^{بمعرض} بطرفين .

ويتكون المداخل من فتحة ^{General Opening} عميلة بنيت اطاراتها بالحجارة البيضاء والبسوداء (نظام الأبلق) ويتوجها عقد نصف دائرى وقد تحلى

(١) الهدانى : الاكليل ، ج ٨ ، ص ٢٠

هذه المداخل بنقوش حجرية بديعة ^(٢) ، وأحيانا يكون المدخل - خاصة في المنازل الكبرى - على هيئة حجر مرتد بحيث يتوج فتحة الباب عقد مستقيم أو نصف دائرى بينما يتوج حجر المدخل عقد مفصص وعقد نصف دائرى .

ويفتح بصدر حجر المدخل نوافذ ضيقة مستطيلة فى ثلاثة صفوف أو أكثر لاضاءة دهليز المدخل ، ويغلق على هذه المداخل أبواب خشبية مكونة فى الغالب من مصراع واحد وفى النادر مصراعين ، وقد زينت هذه الأبواب وخاصة الوجه الخارجى منها بقضبان حديدية متقاطعة ومسامير مقوبجة فى صفوف أفقية ورأسية أو دائرية ^(١) ، إلى جانب الزخارف النباتية والهندسية المحصورة داخل مناطق تشبه المحاريب ^(٢) .

وكثيرا ما يوجد فى الأبواب الخشبية - وخاصة تلك المكونة من مصراع واحد - فتحة دخول تعرف باسم الخوخة مخصصة لدخول وخروج أهل الدار بحيث لا يفتح الباب الكبير الا عند دخول الحيوانات الأليفة أو ادخال شيء لا تتسع فتحة الخوخة لدخوله .

أما بالنسبة للأبواب الداخلية - رغم ان السلم يؤدي إلى جميع الطوابق فان لكل طابق باب خاص بحيث يبدو كل طابق منفصل عن الآخر - فهى ذات اعتاب خشبية مغطاة بطبقة من الجص وعادة ما يعلوها نافذة تمتد بعرض الباب مغطاه بستارة من الجص المعشق بالزجاج الابيض الشفاف ويغلق على هذه الأبواب مصاريع خشبية واجهاتها الداخلية مزينة بلوحات زخرفية محفورة تماثل تلك الزخارف الموجودة على أبواب الحجرات الداخلية .

(١) غازى رجب محمد (د) : السائر الجصية ، ص ٦٢ . 67 . Lewcock , OP. cit., P .

(٢) Guillemette et Paul Bo nnenfant , L'art du bois a Sana'a Volume I, P . (٢)

وسوف نتناول زخارف الأبواب بالتفصيل فى الفصل الرابع من هذا البحث .

٤ - النوافذ :

تعتبر النوافذ من أهم سمات منازل صنعاء وخاصة تلك الموجودة فى الطوابق العلوية أما بالنسبة للطابقين الأرضى والأول فلا يفتح فيهما سوى طاقات ضيقة للتهوية إلى جانب الاضاءة الخفيفة .

أما النوافذ العلوية فهى عبارة عن فتحات مستطيلة وباتساعات مختلفة ومتساوية فى الارتفاع ، وتكون النوافذ عادة من صفين العلوى على هيئة فتحات معقودة بعقود نصف دائرية مغطاة بستائر رخامية شفافة أو بستائر جصية معشقة بالزجاج الملون فى تشكيلات زخرفية بديعة ، أما الصف السفلى فهو مربع أو مستطيل الشكل يغلق على كل نافذة منها مصاريع خشبية واجهاتها الداخلية مزخرفة بأبدع النقوش وقد يتخلل ما بين النوافذ فى المستويين العلوى والسفلى وكذلك يعلو بعض النوافذ الرئيسية فتحات دائرية مغطاة بالواح الرخام أو ستائر الجص المعشق بالزجاج مما يوضح لنا بجلاء سبب تسمية الواح الرخام باسم القمرية لان تلك الفتحات يتسلل من خلالها ضوء أصفر خافت ينبعث من ضوء القمر المار من خلال شفافية اللوح الرخامى ، أو اضواء ملونة بنفس الستائر الجصية المعشقة بالزجاج (١) .

(١) عبد الله الشيبة (د) : المرجع السابق ، ص ٧٤، ٥٨، Lewcock, Op. cit., P. 74.

وكانت الواح الرخام المستعملة فى تغشية النوافذ تستقطع من محاجر فى منطقة شبام الغراس على بعد ٤٠ كم شمال شرق صنعاء (١) .

التغطيات :

٥ - استخدم المعمار الصنعائى فى تغطية طوابق المنزل الاسقف المسطحة التى تعتمد على جذوع الاشجار مثل الاثل والسدر والطلح (٢) والتى تستعمل على هيئة كمرات تمد بين حوائط الغرف بحيث لا تبعد الواحدة عن الاخرى أكثر من ١٠٠ سم ويتحكم طول هذه الكمرات وقصرها فى عرض الغرف التى سوف تغطى بها والتى لا تزيد فى الغالب عن ٤ م ، ثم يرص فوق الكمرات الخشبية فروع منتقاء من أفرع الأشجار المستقيمة والتى تسمى فى صنعاء باسم (الاصابع) (٣) ثم تغطى الاصابع بكتل من الطين المخلوط بالتبن (القش) والماء والتى يتم اعدادها قبل بدء عملية التسقيف بيومين أو أكثر ، وقبل ان تجف تماما يتم تسويتها وكسوتها بطبقة رقيقة من الطين الناعم ثم تغطى بطبقة من التراب الجاف الناعم أو بالقضاض حتى يسهل تصريف مياه الامطار من السقف الى الخارج بواسطة ميازيب خشبية تصنع من جذوع أو قشور الاشجار أو من الفخار على هيئة قنوات (٤) .

ثانيا : العناصر الزخرفية :

تعددت العناصر الزخرفية التى نفذت على منازل صنعاء حيث شملت كل ما هو معروف من الزخارف الهندسية والنباتية والحيوانية والكتائية

(١) غازى رجب محمد (د) : البيوت القلاعية ، ص ١٦١ - ١٦٢

(٢) عبد القوى طالب (مهندس) : المرجع السابق ، ص ٢٩١

(٣) عبد القوى طالب (مهندس) : المرجع السابق ، ص ٢٩٢

(٤) غازى رجب محمد (د) : البيوت القلاعية ، ص ١٦١

والتي نفذت بكل أساليب الزخرفة كالحفر بأنواعه البارز والغازر والمشطوف وكذلك التفريغ والتعشيق والتجميع والتلوين بالألوان المائية وأسلوب اللاكية ، وفيما يلي وصف موجز لأهم أنواع العناصر الزخرفية .

١ - العناصر النباتية :

تنوعت العناصر الزخرفية النباتية التي نفذت على عمائر مدينة صنعاء السكنية ومن أهمها الأوراق والغصون والفروع والزهور والوريدات .

فاذا ما تحدثنا عن الأوراق فنجد أن الفنان اليمنى استخدم - سواء على الجص أو الخشب أو غيرها من التحف - الأوراق بمختلف أنواعها منها المحور ومنها القريب من الطبيعة ومن أهم الأوراق المستخدمة : الورقة ذات الفص الواحد والتي رسمت على هيئة لوزة أو كلوة أو ينثنى طرفها الى الداخل وكذلك استخدم الأوراق ذات الفصين التي تشبه المروحة النخيلية المحورة بحيث يكون أحد الفصوص أكبر من الآخر ، وأيضا استخدم الورقة ذات الفصين بطريقة جديدة في الزخرفة قوامها انحناء الفصين إلى الداخل بحيث يتلاقى طرفاها مكونان معا ما يشبه الدائرة كما استخدمت تجميعات الورقة ذات الفصين في رسم فرعين نباتيين يخرج من كل منهما ورقة نباتية في تشكيلات زخرفية بديعة .

ومن الأوراق المستخدمة في الزخرفة : الورقة الثلاثية التي رسمها في تشكيلات زخرفية جميلة منها ما يكون على هيئة دائرتين يخرج من بينهما فص لوزى مثقوب أو على هيئة ثلاث دوائر متماسة وكذلك على هيئة ورقة ثلاثية مثقوبة الوسط تركز على ورقة ثلاثية أخرى فصاها

الجانبين طويلان بحيث يبدوان وكأنهما جناحان ومنها أيضا أوراق ثلاثية مثقوبة ينقسم الفص الأوسط إلى قسمين كما استخدمت أيضا الأوراق الخماسية والسداسية وأوراق اللوتس إلى جانب استخدام الأوراق الرمحية والمشرشرة المحورة إلى جانب أشكال أخرى متنوعة من الأوراق .

أما الأوراق الكأسية فقد استخدمت في تشكيلات اطارية على هيئة شريط تتبادل معها الورقة بين الشكل المعدول والشكل المقلوب إلى جانب التشكيلات المتقابلة والمتدايرة من الأوراق الثلاثية والأوراق المركبة من أكثر من ورقة تعلو بعضها البعض على هيئة أوراق ثلاثية أو أوراق تشبه الكلوة أو الورقة ذات الفصين المتساويين .

كما استخدمت فروع العنب على هيئة اشربة حلزونية متكسرة تخرج منها بعض الأوراق وكذلك الوريدات المختلفة السداسية والثمانية أو على هيئة زخارف هندسية والأوراق التي تشكل دائرة على هيئة مروحة أو على هيئة صليب كذلك استخدمت الأوراق الكأسية المجردة وسعف النخيل وكذلك الأشجار التي تقف عليها بعض الطيور .

وقد اطلق الفنان اليمنى العديد من التسميات على هذه الزخارف فمثلا اطلق اسم (رأس كامل) Ra's Kamil على المراوح النخيلية واسم (رأس ونص) Ra's Unus على سعف النخيل ، واسم (نص رأس) Nus R's على شكل الزهرة وانصاف الأوراق المكونة من نصفين غير متساويين

ينحنى كل فص منهما إلى الداخل ، كما تطلق هذه التسمية على عنصر الورقة أو الزهرة الثلاثية الفصوص ، أما الورقة ذات الفص الواحد فتمثل لدى الفنان مقياس التناسب الاساسى والتي جاء تصميمها على هيئة رمحية وتسمى (نصف رأس) (١) كما استخدمت الأوراق اللوزية (Lawza) وبعضها جاء على هيئة مروحية تنحنى أوراقها إلى الداخل والخارج على هيئة اكليل كما اطلق اسم (حوتى HÛTI) على العناصر النباتية المتمايلة لانها تشبه سمكه متموجة تخرج من عنصر الورقة الثلاثية كما اطلق على العناصر النباتية التى تزين العقود الجصية اصطلاحات عديدة تدل على أنواع الزخارف مثل : الزنجيرى ونص زنجيرى وعقيق ونص عقيق وجرايد وخواتم وزهرات وشجرى وحاشية رأس ونص وغيرها من المصطلحات .

٢ - العناصر الهندسية :

كما تعددت الزخارف النباتية تعددت أيضا الزخارف الهندسية والتي يغلب عليها الاشكال النجمية بمختلف أنواعها السداسية والثمانية والرباعية والخماسية إلى جانب النجوم المتعددة الرؤوس والأطباق النجمية الكاملة وانصافها وتشكيلات الزخارف المفروكة على هيئة سداسيات متجاورة رأسية وافقية ومائلة متداخلة مع بعضها واشكال الصلبان والدوائر المتماسية والأشكال المفصصة المتجاورة والدوائر المتقاطعة وأشكال قشور السمك واللوزات المتجاورة التى تحصر بداخلها أشكال معينة إلى

Guillemette et Paul Bonnenfdnt, Op . cit ., P . 24 (١)

جانب الأشكال المستطيلة المتقاطعة التى تحصر أشكال معينات ومثلثات مختلفة ، وكذلك تشكيلات العقود المفصصة والمذبية وأشكال المحاريب وحببات اللؤلؤ والجدائل المظفورة والمفروكة والزخارف المسننة والجفوت اللاعبة وزخارف المشكاوات .

كل هذه الأنواع من الزخارف الهندسية استخدمت فى العصر الاسلامى سواء تأثر بها الفنان المسلم من الحضارات السابقة للاسلام كالساسانية والبيزنطية والمصرية والعراقية واليمينية القديمة أو كانت من مبتكرات الفنان المسلم نفسه .

٣ - العناصر الحيوانية :

لم تستخدم الزخارف الحيوانية بكثرة على المنازل اليمينية وان وجد القليل منها على هيئة تشكيلات زخرفية بسيطة فى الستائر الجصية المعشقة بالزجاج الملون مثل تشكيلات الطواويس والطيور الصغيرة أو أشكال الأسود ألا أن رسومها محورة عن الطبيعة يسيطر عليها الجمود .

وقد استخدمت الطواويس بالذات فى زخرفة كوابيل الرفوف الجصية التى تزين جدران الغرف وان كانت رسومها أيضا محورة ومجردة ، كما استخدمت زخرفة رؤوس الكباش على نهايات الكوابيل التى تحمل المشربيات والشبابيك والرفارف الخشبية التى تزين واجهات المنازل .

كما زخرفت الرفارف الخشبية التى تعلو النوافذ بأشكال مجسمه لعدد من الحيوانات كالطيور والصقور والقطط والأسود بأوضاع متقابلة أو متدابرة وكأنها تحرس النوافذ من أى هجوم عليها ، وتتميز الزخارف

الحيوانية الموجودة على الرافراف بقربها من الطبيعة إلى حد كبير عكس تلك الموجودة على الكوابيل أو الستائر الجصية (١) .

٤ - العناصر الكتابية :

لا يكاد منزل من المنازل الصنعائية يخلو من الزخارف الكتابية التي تزين اعتاب المداخل كنوع من الاستفادة وصرف الشياطين وكذلك زخرفة جدران المفارج والغرفة وواجهات المنازل بالعديد من العبارات الدعائية والاحاديث النبوية والآيات القرآنية ، وتأتى فى مقدمة المقتبسات الكتابية المستخدمة فى الزخرفة على المنازل :

الآيات القرآنية منها : بسم الله الرحمن الرحيم - لا قوة الا بالله - وما توفيقى الا بالله - ﴿ ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ﴾ ، والتي وجدت على جدران دهليز بيت الحاضرى ودهليز دار الذهب الذى بنى سنة ١٣٣٤ هـ / ١٩١٥ م ، ومن الآيات القرآنية الأخرى ﴿ أنسا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ والتي وجدت على مفرج دار الروضة الذى بنى سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م وكذلك آية الكرسي من سورة البقرة وكذلك سورة الصمد والتي استخدمت لتزين أعتاب أبواب الدواوين والمفارج .

كما استخدمت العبارات الاستعاذية مثل (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وعبارات الحمد والشكر مثل) ما شاء الله ، الملك لله ، والعزة لله ، والكمال لله (وعبارات) قف على باب كريم كلما طرق الطارق بالخير فتح (والتي وجدت على مدخل بيت عبد الله الجندارى الذى بنى

(١) انظر الاشكال : (٣٥ - ٣٧)

سنة ١٣٦٠ هـ : ١٩٤١ م) وكذلك على مدخل بيت محبوب إلى جانب عبارات الافتتاح وتاريخ الجمل ومنها (ولهذا تؤرخ دوام الستر الكريم ١٣١٣ هـ) والموجود على دار عبد الله اليمنى المبنى سنة ١٣١٣ هـ / ١٨٩٦ م وعبارة (ادخلوها بسلام آمنين) على حجرة ديوان بيت لطفى عباس وأيضا تاريخ الجمل على مدخل بيت عبد الله الجندارى وبيت محبوب ونصها (تاريخه الفضل من الله الكبير ١٣٦٠ هـ) .

كما استخدمت الأبيات الشعرية التى تحث على الصبر مثل :

جرت عادة الله فى خلقه اذا ضاق أمرأتى بالفرج

والموجود على جبهة مدخل بيت عبد الله الجندارى وباب بيت الذمارى وباب بيت الجودرى وكذلك :

قد حار فكرى وتحكمت فى جميع الصنع * فحسبت أهل المعارف باب الانصاف مصنوع
كما استخدمت العبارات الشيعية سواء الدينية منها أو الشعرية التى تمجد آل البيت ومنها :

الخمس أطفئ بهم نار الجحيم الحاطمة * المصطفى والمرضى وبنيهما والفاطمة
والتي وجدت على جدران مفرج بيت سبانا ومفرج بيت محسن اليمنى الذى بنى سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .

ومن العبارات الأخرى : الشهادتين مضافا إليها عبارات تمجيد آل البيت ومنها : (لا اله الا الله) محمد رسول الله ، على ولى الله ، الحسين صفوة الله ، فاطمة أمة الله (والتي وجدت على جبهة باب بيت الجودرى الذى بنى سنة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م ^(١) .

Guillemette et Paul Bonnenfant, Op . cit ., P . 41 0 44 (١)

الفصل الرابع : وصف بعض التحف الموجودة فى منازل صنعاء

أولا : التحف الخشبية

الأبواب- المشربيات- الرفارف- الدواليب الحائطية

ثانيا : التحف المصنوعة من الرخام والجص

الستائر الرخامية- الستائر الجصية- الأرفف الجصية

أولا : التحف الخشبية

تضم منازل صنعاء العديد من التحف الفنية منها ما هو مصنوع من الخشب أو الجص أو الرخام أو المعادن، وهذه التحف تمتاز بغنائها بالزخارف المتنوعة النباتية منها والهندسية والحيوانية والكتابية تعكس مدى اهتمام وشغف أهل صنعاء لاقتناء التحف الجميلة وشرائها بأعلى الاثمان ليزينوا بها منازلهم سواء كانت هذه التحف عبارة عن أبواب أو نوافذ أو رفارف أو مشربيات أو فازات أو ستائر جصية أو ارفف .

أولا : التحف الخشبية

تفتقر بلاد اليمن إلى الأخشاب الجيدة اللازمة لصناعة التحف الخشبية مثل خشب الأرز الذي كان متوافرا في بلاد الشام^(١) وخشب الساج الهندي والأبنوس وغير ذلك من الأخشاب .

وقد اعتمد صناع الخشب اليمنيين على بعض الأخشاب المتوافرة في البيئة المحلية كالسدر واجوز والقرض والعرعر والطلح والتنار والاثل وغيره^(٢) .

(١) سعاد ماهر (د) : الفنون الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتابة ، ١٩٨٦ م ، صفحة ٢٠٢
(٢) مصطفى عبد الله شبيحه (د) : مدخل إلى العمارة والفنون الاسلامية في الجمهورية اليمنية ، وكالة سكرين الدولية ، القاهرة ، ١٩٨٧ م ، صفحة ١٤٢

وقد مرت صناعة التحف الخشبية اليمنية بنفس مراحل تطورها في مختلف بلدان العالم الإسلامى بدءاً من العصر الأموى الذى غلبت على منتجاته التأثيرات الهلنستية فى الشام والأساليب الساسانية فى العراق بينما حافظت مصر على تقاليدها المحلية القبطية، أما فى العصر العباسى فقد ساد أسلوب الحفر المشطوف الذى انتقل إلى مصر فى العصر الطولونى متأثراً بأسلوب الرسم على الجص فى سامراء، ومنذ أواخر العصر الفاطمى بدأت التشكيلات النجمية تتطور رويداً رويداً فظهر ما يعرف بالطبق النجمى فى العصر الأيوبى ثم المملوكى والعثمانى (١).

أما عن أسلوب صناعة وزخرفة الأخشاب فى اليمن فقد استعمل النجارون اليمنيون الأساليب المختلفة كالحفر بنوعه: العميق المتوارث عن الأساليب الهلنستية والحفر المشطوف الذى تأثروا به من سامراء العباسية (٢)، إلى جانب الحفر البارز علاوة على طرق التطعيم والتعشيق والتجميع والتخريم أو التفرغ وأسلوب الخراط (٣).

وتعتبر طرق الحفر والتجميع والتعشيق والتخريم من أكثر الطرق التى استخدمها الفنان اليمنى على منتجاته الخشبية وتبين ذلك من خلال التحف التى وصلتنا سواء كانت أسقف خشبية منفذة بأسلوب المصنّدقات ذات الزخارف النباتية والهندسية والمحفورة والملونة كما فى أسقف الجامع الكبير فى صنعاء وجامع شبام كوكبان وجامع ظفار ذى

(١) سعاد ماهر (د) : الفنون الاسلامية ، ص ٢٠٣

(٢) حسن الباشا (د) : مدخل الى الآثار الاسلامية ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ، ص ٤٢٩ .

(٣) محمد عبد العزيز مرزوق (د) : الفنون الزخرفية فى العصر العثمانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

بين وجامع السيدة بنت أحمد فى جبلة والجامع الكبير فى أب وجامع
ذى أشرق وغيرها من المساجد (١).

كما استخدم كل من أسوب الحفر والتجميع والخرط فى صناعة المنابر
والتوابيت الخشبية مثل منبر الجامع الكبير بصنعاء ومنبر جامع أب ومنبر
جامع جبلة ومنبر جامع الجند وتابوت الإمام المنصور بالله فى الجامع الأبهـر
بصنعاء وتابوت الإمام المهدي عباس فى صنعاء وغيرها من التوابيت التى
تنتشر فى أغلب مساجد صنعاء (٢).

أما الأبواب والنوافذ وخاصة تلك التى مازالت باقية فى منازل صنعاء
فقد ساد فيها أسلوب الحفر وأحيانا التعشيق فى حين ساد الخـرط والتخريم
والسدائيب فى صناعة المشربيات والرفارف الخشبية التى تعلو صفوف
النوافذ.

وقد استخدم الفنان اليمنى مختلف أنواع الزخارف فى تجميل تحفه
الخشبية وأن كانت أهم أنواع الزخارف هى تلك المستمدة من العناصر
النباتية والهندسية فى تشكيلات زخرفية جميلة قوامها أشكال منتظمة
من المربعات والمستطيلات والمعينات إلى جانب الأطباق النجمية وأجزائها
ووحداتها المختلفة بالإضافة إلى أشكال العقود المفصصة والمدببة التى
تتخذ أشكال المحاريب (٣).

(١) مصطفى عبد الله شبيحه (د) : المرجع السابق ، ص ١٤٣ - ١٤٦ ربيع حامد خليفة (د) :

الفنون الزخرفية اليمنية فى العصر الإسلامى ، الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ /

١٩٩٢ م ، صفحة ١٢٠ - ١٤٥

(٢) مصطفى عبد الله شبيحه (د) : المرجع السابق ، ص ١٤٢ - ١٥٢ ، ربيع حامد خليفة (د) :

المرجع السابق ، ص ٦٥ - ٩٦

(٣) مصطفى عبد الله شبيحه (د) : المرجع السابق ، ص ١٤٣

وكذلك أشكال النجوم السداسية والخماسية وحببات اللؤلؤ والدوائر وانصافها والجدائل والزخارف المسننة .

كما استخدم العناصر النباتية من زهور وأوراق متعددة الفصوص على هيئة تجميعات أفريزية أو أشكال كأسية أو تلك التي يستطيل فصها الأوسط إلى جانب الأشكال المحورة والمجردة (١) .

وتعبر الورقة الثلاثية من الكثر العناصر النباتية التي مثلت على أبواب ونوافذ منازل صنعاء بحيث يتخذ فصها الأوسط شكل رمحى يتوسطه ثقب صغير (٢) .

تلك كانت مقدمة عن أنواع الزخارف المستخدمة في التحف الخشبية اليمنية أما بالنسبة للتحف نفسها فهي متنوعة ما بين أبواب ومشربيات وشبابيك ورفارف خشبية وغيرها .

١ - الأبواب :

كان للنجار اليمني اهتمام خاص بعمل مصاريع الأبواب الخشبية وزخرفتها بشتى أنواع الزخارف سواء أكانت مصاريع الأبواب الرئيسية أو مصاريع الأبواب الداخلية .

(أ) الأبواب الرئيسية

وهى التى تغطى المدخل الرئيسى للدار باتجاه الشارع وهى على نوعان : أبواب الأفنية - وأبواب المنازل .

(١) مصطفى عبد الله شبيحه (د) المرجع السابق ، ص ١٥٠

(٢) Guillemette et Paul Bonnenfndnt, Op . cit ., P . 24

١ - أبواب الأفنية :

يحيط بكثير من منازل صنعاء أفنية (حوش) عادة ماتزرع بالأشجار والفواكه والخضروات ويبنى الفناء من الحجر الأجر أو اللين على هيئة سور يحيط بالمنزل وعادة يكون للفناء مدخل واحد تغلق عليه أبواب خشبية كبيرة ومستطيلة تتكون من مصراعين أو أكثر، زخرفت أوجهها الخارجية بصفوف أفقية أو رأسية أو على هيئة دوائر من المسامير المقوبجة ويزين الحافة الداخلية للمصراع الأيسر قائم خشبي يعرف باسم المشراف وغالبا ماتنفذ عليه زخارف فى غاية الروعة والجمال .

وأحيانا يفتح فى المصراع الأيمن باب صغير يعرف باسم الخوخة مخصص لدخول أهل الدار لأن الباب الأكبر لا يفتح الا عند دخول الحيوانات أو شئ ما أكبر من الخوخة، وتوجد فى المصراع الأيمن مطرقة معدنية (سماعة) مكونة من لوحة معدنية حرة الحركة مثبتة من أعلى يطرق بها على مسمار مقوبج لاسماع من بالداخل بقدم شخص ما يريد الدخول .

٢ - أبواب المنازل :

وهى تلك التى تغلق على فتحة الدار الرئيسية سواء أكان هناك فناء يحيط بالدار أم لا يوجد وغالبا ما يكون هذا الباب مكون من مصراع واحد يتخذ شكل فتحة الباب فإذا كانت فتحة الباب متوجة بعقد دائرى جاء مصراع الباب على نفس الشكل ويتكون مصراع الباب من ألواح خشبية رأسية وأفقية مثبتة فى بعضها بواسطة التعشيق إلى جانب المسامير المقوبجة على عوارض وقوائم خشبية من الدخل (١)، وقد قسم الصناع

(١) غازى رجب محمد (د) : البيوت القلاعية ، ص ١٦١

الوجه الخارجى لمصرع الباب إلى عدة أقسام وأطلق على كل قسم منها اسم .. ومنها:

(أ) الطبلية Tabala وهى حشوة مستطيلة تمتد بعرض الباب من الاعلى والأسفل : العلوية منها توجد فى القسم الثابت من الباب وغالبا ما تضم كتابات دعائية مثل (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، الملك لله، لا اله إلا الله، وبعضها تضم الشهادتين وبعض الآيات القرآنية أو أبيات شعرية وعبارات دعائية شيعية، وقد تشتمل على زخارف نباتية من الأرابسك أو زخارف هندسية أو كلاهما معا قوامها أطباق نجمية ونجوم ثمانية أو سداسية محصورة داخل دوائر تحيط بها أشطرة من فروع نباتية^(١)، أما الطبلية السفلية فتمثل الجزء العلوى من المصرع المتحرك من الباب وهى مزخرفة بنفس زخارف الطبلية السابقة.

(ب) الجبهة : وهى حشوة مستطيلة أو على هيئة عقد نصف دائرى تحتل أعلى جزء من الباب الثابت أسفل الطبلية العلوية وتكون عادة مزخرفة بزخارف نباتية ارابسكية أو هندسية وقد سميت بالجبهة لأنها تقابل جبهة الشخص الداخل.

(جـ) المشراق : وهو عبارة عن قائمين من الخشب على هيئة اطارين على حافتى الباب الرأسية تتخذ قمة كل منهما شكل نصف عقد مفصص وعلى واجهتها زخارف هندسية ونباتية محفورة .

(د) المحراب : يزين واجهة الباب المتحرك أسفل الطبلية السفلى

Guillemette et Paul Bonnenfant, Op . cit., P . 41 - 49 (١)

حشوتين مستطيلتين فى وضع رأسى يفصل بينهما بخارية تعرف باسم الترنجة، ويتوج كل منهما عقد مفصص بحيث تأخذ كل حشوة شكل المحراب، وقد نفذت على هذه الحشوات العديد من الزخارف الهندسية والنباتية قوامها بخاريات تضم بداخلها زخارف نباتية وعادة ما يتوسط بخارية كل محراب حلقة معدنية لشد الباب واغلاقه .

(هـ) الترنجة : وهى عبارة عن قطعة خشبية شكلت على هيئة بخارية تتوسط حشوتى المحرابين أو تكون داخل أحد المحرابين ينتهى طرفها العلوى والسفلى على هيئة ورقتين ثلاثيتين وهذه الترنجة تشبه إلى حد كبير بخاريات المصاحف وغالبا ما تثبت عليها مطرقة حديدية (سماعة) تعرف باسم (المدق) .

(و) المغلقة : تحتوى أبواب منازل صنعاء على أربعة أنواع من المغالق المزلاجية أو المنفصلة بعضها مخصص للوجه الخارجى والبعض الآخر للوجه الداخلى .

١ - المغلقة ذات المفتاح الخشبى

هذه المغلقة تقفل وتفتح من الخارج وتسمى مغالق ساقطة وهى عبارة عن قطعة خشبية عرضية تتحرك يمينا ويسارا داخل قطعة أخرى مثبتة على شكل رأسى ويوجد فى القطعة العرضية ثقب فى الوجه العلوى وعند اغلاقها تهبط من القطعة الرأسية اسنان داخل تلك الثقوب فلا يمكن فتحها إلا بمفتاح خشبى فى احد طرفيه عدد من الأسنان البارزة بنفس عدد اسنان وثقوب المغلقة حيث يدخل المفتاح من الجانب الأيمن للقطعة الأفقية من خلال تجويف خاص ويرفع إلى أعلى فترفع السنون الهابطة

من القطعة الرأسية ثم تسحب القطعة الأفقية فيفتح الباب .

٢ - المغلقة ذات المفتاح المعدني :

وهذه المغلقة عادة ما يتم تركيبها في الوجه الداخلى من الباب وتعرف باسم (مغلقة قلاب) وهى تشبه المغلقة السابقة إلا أنها تتميز عن الأولى فى أنه بالامكان فتحها من الداخل أو الخارج بواسطة مفتاح معدنى عن طريق ثقب فى الباب يتصل بالمغلقة بحيث يدار المفتاح يمينا أو شمالا للفتح أو الاغلاق .

٣ - المغلقة الغشيمية :

وهى عبارة عن قطعتين من المعدن كل منهما يتكون من شكل مقوس القطعة الأولى يوجد فى أحد طرفيها ثلاثة ثقوب وفى الآخر ثقب، أما القطعة الثانية ففى أحد طرفيها ثلاثة اسنان تشبه شوكة الأكل وفى الطرف الآخر سن واحد وعندما يتم ادخال هذه الأطراف ببعضها فى كلا القطعتين يشتبكان معا فلا يمكن فتحها إلا بمفتاح خاص .

٤ - المغلقة ذات الحبال :

توجد هذه المغلقة فى الوجه الداخلى من الباب ويتم فتحها واغلاقها بواسطة حبل يمتد من الباب وحتى آخر طابق فى المنزل فى مجرى خاص له فتحه فى كل طابق فإذا ما طرق أحد على الباب يريد الدخول وسمح له بذلك يشد الحبل فتفتح المغلقة وبعد دخول الشخص يقفل الباب بنفس الطريقة وإذا ما خرج أحد من أهل الدار فإنه يعيد الباب إلى مكان الاغلاق ثم يقوم بشد حبل صغير متدلى عبر ثقب على واجهة الباب

فتقفل المغلقة ولا يمكن فتحها بهذا الحبل لأنه مصمم للغلق وليس للفتح^(١).

وكما سبق القول فإن واجهات هذه الأبواب مزخرفة بالعديد من الزخارف المحفورة الغائرة أو البارزة أو المشطوفة وإلى جانب ذلك استخدمت الزخارف بواسطة الرسم بالدهانات والمنفذة بطريقة اللاكية والذي يبدو أن اليمن عرفته ابان الوجود العثماني في اليمن ومن أهم الأبواب المزخرفة بواسطة اللاكية باب بيت فضل بن على الأكوع المكون من مصراعين يزين كل منهما ثلاث حشوات أو سطها أكبرها تزدان بشكل زهرية تخرج منها الأغصان المزهرة ويعلوها هلال يتوسطه نجمة أما الحشوات العلوية والسفلية فقد زينت كل منها بوريدة تحيط بها أرباعها في أركان الحشوة.

(ب) أبواب الغرف :

تختلف أبواب الغرف من حيث الشكل والحجم من باب إلى آخر حسب اتساع وارتفاع الباب وكذلك حسب أهمية الغرفة التي يوجد فيها الباب وعادة ما تكون من مصراعين في غرف السكن، وتتعدد المصاريع من ٢ - ٦ مصاريع في أبواب المفارج.

وتتميز جميع الأبواب بشكل عام بان واجهاتها الداخلية غنية بالزخارف بحيث يتم تقسيم كل مصراع إلى ثلاث حشوات العلوية والسفلية مربعتان والوسطى مستطيلة زينت بزخارف نباتية ارابسكية نفذت بواسطة الحفر العميق قوامها أشكال مجردة لأوراق ثلاثية محورة

(١) ربيع يحامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ١٤٩ - ١٥٠

تخرج من أشكال تشبه الزهريات كما فى حشوات بيت الشهارى إلى جانب الزخارف الهندسية المتمثلة فى الأطباق النجمية وأشكال النجوم الثمانية كما فى أحد حشوات باب ديوان بيت الشهارى .

كما استخدم التطعيم فى زخرفة الأبواب الداخلية وخاصة أبواب المفارج والدواوين استخدمت فيها مختلف أنواع الأحجار الكريمة نظرا لوجود الأمان الكامل لها على اعتبار أنها موجودة داخل الدار، وقد ازدهر فن التطعيم على الأبواب فى صنعاء فى القرن ١٢ - ١٨م وخاصة استخدام السن فى التطعيم ومن أهم الأبواب التى طعمت بالسن باب مفرج بيت حمود اليماني الذى اعتمد الفنان فى تنفيذ زخارفه على العناصر الهندسية وخاصة النجوم والمعينات والأشكال السداسية وكذلك باب مفرج بيت الشهارى الذى تشاهد فى حشواته المطعمة الأطباق النجمية والزخرفة العربية المورقة (الأرابسك) إلى جانب أشكال الصليبان التى تحصر بداخلها شجرة محورة تتفرع إلى ثلاثة فروع ينتهى كل فرع منها بورقة ثلاثية .

كما استخدم أيضا أسلوب الرسم بالدهانات فى زخرفة أبواب المفارج والمنفذ بأسلوب اللاكية ومن أهم الأبواب التى نفذت فيها الزخرفة بواسطة اللاكية باب مفرج بيت القاضى على عبدالله العمرى وباب بستان الخير المعروف ببا الكشك، وباب بيت فضل بن على الأكرع (١)

أبواب النوافذ :

نظرا لبرودة الجو في صنعاء فإنه يغلق على فتحات نوافذ منازل صنعاء من الداخل مصاريع خشبية يختلف عددها من نافذة إلى أخرى حسب اتساع النافذة والغالب أن تكون ما بين (٢ - ٤ مصاريع) يتم فتح كل مصراع نحو الخارج وأحيانا يفتح في كل مصراع من مصاريع النوافذ خوخة صغيرة تفتح عندما يراد تجديد هواء الغرفة دون السماح لتعرض الغرفة للبرد أو الحرارة .

وقد زينت الأوجه الداخلية لمصاريع النوافذ بإبداع وأجمل الزخارف الفنية بحيث تعتبر كل نافذة بمثابة لوحة فنية متناسقة مع زخارف الجدران الداخلية وتشمل هذه الزخارف العناصر النباتية المختلفة داخل حشوات محفورة حفرا بارزا على هيئة المحاريب أو الحشوات المربعة أو أشكال العقود المفصصة قوامها وريادات ثمانية وسباعية البتلات وفروع متموجة تخرج منها أوراق محورة نفذت بأسلوب الأرابيسك كما نراها في جزء من مصراع شبك في ديوان بيت الخميسي إلى جانب أشرطة تحيط بمصراعى الشباك الصغير الذى يشبه الخوخة قوام زخارفها لفائف نباتية محورة ومن أمثلتها مصراع شبك بيت على السمة القريب من السائلة في حارة الجلاء الذى سيد سنة ١٠٩١هـ / ١٦٨٠م كما تضم بعض مصاريع النوافذ حشوات مربعة مزينة بواسطة الحفر البارز بزخارف هندسية قوامها أطباق نجمية ومسامير على هيئة الوريدة الثمانية البتلات على أحد شبايك ديوان بيت فاخر وبعض مصاريع النوافذ زخرفت بحشوات بارزة على هيئة بخاريات مستطيلة أو جامات مستطيلة شكل ضلعها القصيران على هيئة عقود مفصصة كما في

مصراع شباك مفرج الدار الجديد والبعض الآخر زخرفت فيه الحشوات المستطيلة فى مصاريع النوافذ على هيئة بخاريات محفورة كما فى شباك بيت فايح ، وبعض أبواب الشبابيك زخرفت على هيئة فتحة باب متوجه بعقد ذو فصين بحيث ينقسم الباب إلى نصفين كل نصف منه فى مصراع كما فى شباك بيت الحيمى والذى نشاهد عليه العديد من الزخارف النباتية المحورة على هيئة أشربة تحيط بالباب الزخرفى تحصر بداخلها دوائر من المسامير شكل الجزء العريض منها على هيئة وريدة، وبعضها زخرفت بأشكال الزهريات أو مجموعة من زهور القرنفل فى تشكيلات تشبه الشجيرات الصغيرة ويحيط بحزمة الزهور اطار على هيئة لفائف أو فروع تخرج منها أوراق وزهور عباد الشمس، وخير مثال على ذلك الوجه الداخلى لمصراع شباك مفرج بيت البلىلى والتي توضح بجلاء التأثيرات العثمانية على زخارف الأخشاب اليمينية التى جاءت مع الاحتلال العثمانى لها وهذا النوع من الزخارف يشاهد بكثرة على زخارف أبواب وجدران منطقة بئر العزب على وجه الخصوص .

٢ - المشربيات :

يوجد فى منازل صنعاء ثلاثة أنواع من المشربيات ، النوع الأول المحلى الذى لا يكاد منزل من المنازل يخلو من وجوده وهو المعروف عند أهل صنعاء باسم الشباك وهو عبارة عن ساتر من الحجر أو الأجر يبرز عن سمت جدار عتبة النافذة نحو الخارج بحوالى ٣٠سم ويستند على كوابيل خشبية أو حديدية أو بلاطات حجرية طويلة أو طابوق متدرج

يأخذ شكل رؤوس الحيوانات. والطيور^(١) ويتخلل هذا الساتر فتحات عديدة فى الأرضية والواجهة منه تسمح بدخول تيار من الهواء لتجديد هواء الغرفة وبمعنى آخر فإنها تؤدي وظيفة المشربية أما الفتحات الموجودة فى أرضية الشباك فيمكن منها النظر إلى الشارع ومشاهدة من يطرق الباب ولذلك يكثر وجود مثل هذه الشبايبك فوق الأبواب وكذلك فى الجدران الخارجية للسلاالم وجدران القاعة الوسطى والتي تفصل بين الحجرات وكذلك توجد فى أعالي الجدران .

أما النوع الثانى من المشربيات فيعرف عند أهل صنعاء بالشباك العربى والذى يصنع من الخشب على هيئة ستائر مشبكة تأخذ شكل صندوق أو قفص بارز منشورى الشكل يبدأ عريضا عند القاعدة ويضيق كلما ارتفع إلى أعلى حتى يتساوى مع سمت جدار الواجهة^(٢) ويصنع عادة من الخشب الخروط أو على هيئة سدائب متقاطعة متداخلة فى بعضها بحيث تؤلف مربعات ومستطيلات صغيرة هندسية الشكل بالإضافة إلى الأشكال الدائرية والنصف دائرية والأشكال المفرغة على هيئة أصلبة وهذا النوع من المشربيات يخلو من الزخارف وأن وجدت فعلى هيئة زخارف دقيقة من الكتابات أو الأوراق النباتية والأشكال الهندسية وخاصة الأشكال النجمية تزين السدائب وإطاراتها كما زخرفت الكوابيل بزخارف حيوانية تتمثل فى الطيور وخاصة الطواويس إلى جانب المشكاوات .

(١) مصطفى عبد الله شبيحه (د) : المرجع السابق ، ص ١٥٦ ، غازى رجب محمد (د) : البيوت

القلاعية ، ص ١٦٢

(٢) عبد الله الشبيبة (د) : المرجع السابق ، ص ٥٨

ويتمثل النوع الثالث من المشربيات الجميلة التي تعتبر تحفا فنية رائعة الجمال والمعروفة في صنعاء باسم (الشباك التركي) لأنه قدم إلى اليمن مع الأتراك العثمانيين (١) ويوجد منه نوعان :

(أ) نوع عبارة عن صندوق مستطيل الشكل مصنوع من الخشب العادى المفرغ أو من السدايب أو من الخرط والتي لا تزال أغلب منازل صنعاء تحتفظ بأمثله جيدة منها محمولة على كوابيل بنفس الطريقة السابقة ألا أن زخارفها تتسم بالبساطة والتي ربما تمثل بداية مرحلة دخول هذا النوع إلى اليمن حيث لم تكن الفكرة والمهارة قد تبلورت عند الفنان اليمنى حيث طبعها بطابع زخرفى عربى يتمثل فى قلة الزخارف وتحويرها وخير مثال على ذلك مشربية على أحد منازل حارة الأبهر .

(ب) نوع آخر يتضح فيه الفخامة وحسن الصنعة ومهارة الفنان مما يدل على أنها صنعت فى فترة أصبح الفنان اليمنى فيها قادر على تقليد الأساليب التركية بل وابتكار الجديد منها، وهذا النوع تكون فيه المشربية على هيئة صندوق متعدد الأوجه يبرز كثيرا عن الدران وأحيانا تكون المشربية من عدة طوابق صغيرة فى كل طابق منها توجد فتحات نوافذ على شكل عقود متجاورة (٢)، وقد ظهر هذا النوع أول ما ظهر فى منطقة بئر العزب التى شيدها العثمانيين فى عصرهم الأول حيث يغلب على بيوتها الطابع العثمانى ثم انتقل هذا النوع من المشربيات إلى حارة

(١) زيد بن على عنان : المرجع السابق ، ص ٤٠

(٢) مصطفى عبد الله شبيحة (د) : المرجع السابق ، ص ١٥٦ - ١٥٧

المتوكلية التى بناها الائمة الزيدى فنى العدى من المشرىبات على
قصورها مثل قصر بنت الإمام الذى بنى سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م وقصر
ابن الإمام يحيى سيف الإسلام عباس .

٣ - الرفارف الخشبية :

كما سبق وأن ذكرت انه يعلو المستوى الأول من النوافذ رفاف
خشبية بارزة عن سمت الجدار بحوالى ٣٠ سم تعرف عند أهل صنعاء
باسم (الكنة) المأخوذة من اللفظ المحلى (الكنان) فىقال فلان يكن
بجوار الحائط بمعنى يحتوى من المطر والكنه هنا حماية للنافذة من المطر
وتقوم الرفارف على عوارض خشبية مبنية فى أصل البناء والغرض منها
حماية النوافذ الخشبية المزخرفة عند فتحها من تعرضها لقطرات المطر
واشعة الشمس وكذلك اصفاء مزيد من الجمال على الواجهات بما تحمله
من زخارف ذات تشكيلات جميلة هندسية ونباتية وحيوانية .

ويغلب على زخارفها العناصر الحيوانية المتمثلة فى الطيور الصغيرة
المتقابلة والمتدايرة أو الأسود المتواجهة يفصل بينهما سر ناشر جناحيه وقد
تكون الأسود واقفة على تاج بارز يعلو الرفرف وكذلك الحال بالنسبة
لبعض الطيور كما زينت الرفارف برسوم صغيرة محفورة لأنواع من الطيور
أو الحيوانات بعكس الرسوم السابقة التى نحتت مجسمه .

أما بالنسبة للزخارف النباتية فتتجلى فيها العناصر النباتية من أوراق
وزهور إلى جانب الزخارف العربية المورقة (الارابيسك) أما الزخارف
الهندسية فنجد منها على الرفارف نماذج مختلفة منها عقود مفصصة أو
أشكال مظفرة وأشكال مجردة عن الطبيعة .

٤ - الدواليب الحائطية :

من المعتاد فى منازل صنعاء أن توجد خزانه أو أكثر (دولاب حائط) فى كل غرفة من غرف الدار يغلق عليها مصاريع خشبية لا تقفل فى زخرفتها وقيمتها الجمالية والفنية عن زخارف الأبواب والنوافذ أن لم تكن أكثر جمالا .

ويوجد نوعان من هذه الخزائن نوع يحتل زوايا الغرف وتكون بارزة إلى الداخل والنوع الآخر يشغل حيزا من الجدران الداخلية وقد زخرفت هذه الخزائن بزخارف هندسية وحيوانية ونباتية جميلة ومن أمثلتها: خزانتان فى بيت الشهارى وبيت محمد اليمنى الأولى خزانه كبيرة مقسمة إلى ثلاث مناطق مستطيلة رأسية فى كل منطقة منها حشوة وسطى مستطيلة واعلاها وأسفلها حشوة مربعة وكل حشوة من حشوات الخزانه مزخرفة بعناصر مختلفة منها الأطباق النجمية المكررة والمتداخلة مع بعضها ومنها أشكال الصلبان والمربعات إلى جانب الأشرطة المظفورة وأهم ما يمتاز به هذه الخزانه هو تطعيم زخارفها بالعاج والسن مما جعلها تبدو أكثر جمالا والخزانه الأخرى نجد أن زخارفها مطعمه بالعاج عبارة عن أشكال نجمية سداسية تحيط بها نجمة سداسية أكبر مكررة فى كل أجزاء الحشوة وتستخدم هذه الخزانات لحفظ الملابس والحلى والأشياء الثمينة ويختلف فيها حجم الخزانه من منزل إلى آخر فبعض الخزانات ذات مصراعين والبعض الآخر ذات ثلاثة مصاريع أو أربعة .

ثانيا : التحف المصنوعة من الرخام والجص :

سبق الذكر أن منازل صنعاء تتميز باستخدام الرخام والجص بكثرة فى الزخرفة سواء لكسوة الجدران الخارجية أو لتحلية الخزارف الخارجية أو لسد الفتحات الدائرية والنصف دائرية، ومن أهم التحف الرخامية والجصية:

١- الستائر الرخامية

استخدمت الواح الرخام الرقيقة الشفافة فى عمل القمريات فى سمك لا يزيد عن ١ سم لتغطية النوافذ الدائرية الصغيرة سواء فى البيوت أو المساجد أو الأضرحة ويرجع هذا الأسلوب إلى أصول يمنية قديمة حيث تشير المصادر إلى وجود بيوت عالية لها نوافذ صغيرة يغطيها لوح أو لوحان رقيقان من الرخام الشفاف المعروف باسم القمرية يسمح بدخول الضوء ولا يسمح برؤية من بالداخل.

أما فى منازل مدينة صنعاء فلا يكتاد منزل من منازلها يخلو من الستائر الرخامية المعروفة باسم القمرية ولعل سبب تسميتها بذلك لأن الشكل العلوى المعقود من النافذة يأخذ شكل نصف دائرة أى على هيئة إحدى فترات تكوين القمر^(١) وغالبا ما يغشى هذا الجزء بلوح أو أكثر من الرخام الأبيض الشفاف^(٢) وقد ترجع التسمية إلى بياض لون اللوح الرخامى (شفافية اللوح الرخامى) الذى يجعل النور عند نفاذة من خلال

(١) ربيع حامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ٢٠٢

(٢) غازى رجب محمد (د) : الستائر الجصية ، ص ٦٤

اللوح ذو لون أبيض هادئ اشبه بضوء القمر كما أن بعض النوافذ تأخذ الشكل الدائرى الذى يشبه القمر عند تمامه (١) .

وتعتبر صناعة القمريات من اختصاص أهل صنعاء أكثر من غيرها من المدن اليمنية الأخرى وكانت الألواح الرخامية تستخرج من مقالع عظيمة فى باطن الأرض على عمق أكثر من ثمانية أمتار من عدة محاجر منتشرة فى اليمن من أهمها محجر (الحمزة) فى شبام الفراس ثم تقطع إلى الواح رقيقة حسب الحاجة والطلب (٢) .

ولعل أقدم استخدام للألواح الرخام فى اليمن سواء للإضاءة أو للتسقيف ما وجد فى مفرج (منظر) قصر عمدان حيث يذكر الهمدانى أنه كان بأعلى القصر غرفة لها لهج وهى الكوة كل كوة منها بناء رخام وسقف الغرفة رخامة واحدة صفيحة (٣) والذى انتقل استخدام الرخام منها فى الإضاءة عن طريق صنع المسارج أو عمل القمريات التى تغطى النوافذ فتسمح بدخول إضاءة خفيفة هادئة إلى غرف الدار .

٢ - الستائر الجصية :

اعتمد الفنان اليمنى على الجص اعتمادا كبيرا فى زخرفة المباني وخاصة كسوة الجدران من الداخل وتحليتها من الخارج عن طريق تغطية قوالب الطوب أو أحجار البناء لأكسابها شكلا مميزا .

وكان الجص يستخرج من شبام الفراس كما ذكر الهمدانى ذلك بقوله . (ومن شبام سخيم (الفراس) تحمل القصة إلى صنعاء) (٤) .

(١) ربيع حامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ٢٠١

(٢) غازى رجب محمد (د) : الستائر الجصية ، ص ٦١

(٣) ربيع حامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ٢٠١ - ٢٠٢

(٤) الهمدانى : الاكليل ، ج ٨ ، ص ١٥٠ ، ربيع حامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ١٧٧

ويتميز الجص اليمنى بالتماسك والالتصاق الشديد وإذا ما استند عليه شخص فلا يطبع الالبسة ببياضه وإذا ما ثبت فيه مسمار فلا يتشقق أو يتفتت وإذا ما جصصت به الجدران أصبحت كأنها الفضة ، وتعود شدة تماسكة إلى خبرة الفنان اليمنى الذى يقوم بخلطه و اضافته العديد من المواد إليه من أهمها الغرا (١) وقد استخدم الجص أيضا فى صناعة العقود الحصية عندما قل استخراج الرخام فى اليمن وبالتالي غلا ثمنه ولذلك لجأ الفنان إلى ابتكار نوع جديد من تفشيات الفتحات يعرف باسم (العقد) مصنوع من الجص وقد ازدهر هذا النوع فى فترة حكم العثمانيين الثانية فى اليمن (٩٤٥ - ١٠٤٥ هـ / ١٥٣٨ - ١٦٣٥ م) وخاصة فى منطقة بئر العزب (٢) .

والعقد الجصى لا يقصد به العقد المعمارى إنما هو عبارة عن نصف دائرة من الجص يتم تخريمها ووضع قطع من الزجاج الشفاف والملون فى تغطيه الخروم وقد تكون هذه العقود على هيئة دائرة كاملة أو على هيئة عقد مذهب وأحيانا بأشكال مربعة أو مستطيلة حسب الفتحة إلى سوف تفشى بها .

وعادة ما تزخرف هذه العقود بعدة أنواع من الزخارف تختلف من شباك إلى آخر إذ من النادر وجود عقدين متشابهين من الزخرفة فى غرف واحدة . والتى يغلب عليها الزخارف الهندسية فى المقام الأول تليها الزخارف النباتية ثم الحيوانية والكتابية قوامها تشكيلات من الدوائر وانصافها تحصر بداخلها أشكال نجمية أو وريدات كل خمسة فصوص

(١) ربيع حامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ١٧٧ - ١٧٨

(٢) ربيع حامد خليفة (د) : المرجع السابق ، ص ٢٢١

منها بلون ويكتنف الدائرة فرعان نباتيان ثم يؤطر الجميع أوراق نباتية محورة وبعض القمريات أو العقود تحتوى على أكثر من نجمة إلى جانب أشكال المربعات .

كما شكلت بعض القمريات على هيئة بحور أو خراطيش بداخلها أشكال معينات ووريدات ثمانية وأوراق محورة كما تضم بعض القمريات تشكيلات من الرسوم الحيوانية لطيور من أهمها الطاووس وكذلك تشكيلات نباتية لعبارات دعائية وكلمات دينية مثل (الله) (بسم الله الرحمن الرحيم) ، (ماشاء الله) الخ .

وتشتهر أسر معينة فى صنعاء بصناعة هذه العقود (القمريات) توارثت مهنتها أباً عن جد ومن أشهر هذه الأسرة بيت رسام وبيت الحيمى وبيت الهمدانى وبيت السلامى وآل اليمنى وبيت المقصص إلى جانب بعض أسر اليهود الذين كانوا يقيمون فى صنعاء مثل : النداب وأبو السعود (١) ويظهر إبداع فناني هذه الأسر جلياً وواضحاً إذا ما علمنا أن الآلات المستخدمة فى أخراج وتنفيذ تلك التشكيلات الزخرفية تعتبر آلات بدائية وبسيطة لا تتعدى السكين للحفر والفرجار (البيكار) لتشكيل الدوائر والمسطرة (الجسكى) للرسم بالإضافة إلى أدوات معدنية ذات مقبض ووجه مسطح ناعم للتسطيح تعرف باسم (البروة والمالج) (٢) .

(١) غازى محمد (د) : الستائر الجصية ، ص ٦٤ ، ٦٥ و ربيع حامد خليفة (د) : المرجع السابق ،

(٢) غازى رجب محمد (د) : الستائر الجصية ، ص ٦٤ ، ٦٥

طريقة صناعة العقود :

تصنع العقود من مادة الجص الناعم يختلف عن ذلك الذى تكسى به الجدران وأسقف الغرف (١) وتتم عملية الصناعة أولا بخلط الجص بالماء مع التقليب جيدا ثم يترك لمدة خمس دقائق حتى يصبح الخليط عجينة غليظة ثم يقوم بفرد العجينة على لوح خشبى حسب حجم وسمك العقد المطلوب صنعة ثم يسوى سطح العجينة باستخدام (البروة) وقبل أن تجف العجينة يقوم برسم الحد الخارجى للعقد ثم ترسم الزخارف المطلوبة بواسطة الفرجار والمسطرة ثم يقوم بعمل التخريعات بواسطة السكين التى يزيل بها الجص من بين الزخارف المرسومة لآظهار الخروم وبعد أن ينتهى من عمل التخريعات يترك العقد لمدة يومين أو أكثر حتى يجف تماما ثم يقوم بوضع قطع الزجاج - المعدة سلفا حسب أشكال الخروم - الملون ثم يقوم بصب طبقة من الجص فوق العقد وقطع الزجاج، وبعد أن تسوى تترك لتجف ثم يقوم بإزالة طبقة الجص من على قطع الزجاج بنفس الأسلوب الذى استخدمه فى التخريم (٢).

ويتوقف سمك العقد على مدى اتساع الفتحة التى سوف يفشيها وغالبا ما يكون سمكه من ٣ - ٥ سم وأكثر العقود سمكا أكثرها اتساعا وبالتالى أكثرها دقة ومهارة ووضوحا فى الزخارف وتشكيلاتها.

أنواع الزخارف المستخدمة على العقود الجصية :

اعتمد الفنان فى زخرفة العقود الجصية على الزخارف النباتية والهندسية والحيوانية والكتابية .

(١) شيرلى كى : المرجع السابق ، ص ٢٢٢

(٢) غازى رجب محمد (د) : السائر الجصية ، ص ٦٨

(أ) الزخارف الهندسية :

استخدمت الدائرة بكثرة على العقود الجصية حيث نجد كثير من العقود زخارفها مكونة من تشكيلات هندسية على هيئة دوائر متداخلة فى بعضها أو على هيئة دائرة تتوسط العقد تحصر بداخلها نجمة خماسية أو ثمانية أو من عشرة فصوص تتفرع منها فروع نباتية أو تشكيلات هندسية أخرى أو يحيط بها أفرع نباتية وقد تكون تشكيلات العقد على هيئة مثلثات أو مربعات ومعينات وأشكال سداسية تنتج عن تقاطع الخطوط المستقيمة بالإضافة إلى أشكال متنوعة من الأطباق النجمية الأولية والأطباق النجمية الكاملة .

(ب) الزخارف النباتية :

أقل الفنان على استخدام العناصر النباتية بكثرة فى العقود لأنها تبرز مهارته فى التصميم والتشكيل على عكس التصميمات الهندسية التى تنتج عن تقاطع خطوط مستقيمة أو دائرية أما العناصر النباتية فتحتاج إلى رسم وتصميم على الورق أولاً ثم تنفذ بمهارة على العقود الجصية .

ومن أهم العناصر النباتية التى استخدمها صانعوا العقود التفرعات الممتدة فى انسياب ورشاقة فى اتجاهات مختلفة تتقاطع مع بعضها على هيئة أفرع ملتفة من العنب وأوراقها بالإضافة إلى الأوراق الثلاثية المحورة والوريدات المتعددة البتلات والمراوح النخيلية وانصافها فى أسلوب يتميز بالتمائل والتكرار المتقن .

(جـ) الزخارف الحيوانية :

كما سبق الذكر فإن أغلب الزخارف الحيوانية مكونة من رسوم

طواويس ملونة جميلة وكذلك الطيور الصغيرة التى تقف على فروع العنب وتنقر عناقيدها إلى جانب النسر الناصر جناحية كرمز للقوة .

(د) الزخارف الكتابية :

تتجلى الزخارف الكتابية فى الآيات القرآنية القصيرة أو أجزائها إلى جانب ألفاظ الجلالة وأسماء الله الحسنى وعبارات الحمد والشكر مثل « الحمد لله ، قل هو الله أحد ، ما شاء الله ، الشكر لله ، الله ، لا إله إلا الله » وكذلك المقتبسات الأدبية من حكم وأمثال وأبيات شعرية قصيرة .

وهذه العقود سواء الجصية أو الرخامية تعكس أجمل الأثر فى النفس من الخارج عند إضاءة الغرف ليلاً ومن الداخل اثناء النهار عندما تنفذ أشعة الشمس من خلال شفافية الرخام أو تخريجات الجص المعشق بالزجاج نحو الداخل راسمة صورة ضوئية جميلة ملونة على الجدران الجصية البيضاء^(١) .

وللحفاظ على نظافة وتخريجات العقود والزجاج المعشق فيها من الخارج من الأتربة والأمطار لجأ الفنان إلى تركيب عقود إضافية خارجية تكون فى العادة معشقة بزجاج شفاف غير ملون^(٢) .

وقبل أن اختتم الحديث عن العقود الجصية والرخامية اليمنية ينبغى أن ارد الحق إلى أصحابه وذلك بالإشارة إلى أن أقدم النماذج الهندسية للمستائر الرخامية المخزمة فى العصر الإسلامى وجدت فى الجامع الأموى بدمشق أما أقدم الستائر الجصية فقد وجدت فى مصر واليمن على السواء فى كل من جامع أحمد بن طولون فى القاهرة (٢٦٥ هـ) وجامع شبام

(١) غازى رجب محمد (د) : الستائر الجصية ، ص ٦٦ - ٦٧

(٢) زيد بن على عنان : المرجع السابق ، ص ٤١

كوكبان فى اليمن (٢٥٤ - ٣٠٠هـ) وكانت هذه الستائر على هيئة
تخريجات مفرغة قوامها زخارف هندسية من دوائر وأجزائها وأشكال
نجمية خماسية وسداسية (١).

أما أقدم الستائر الجصية المخرمة والمعشقة بالزجاج الملون فقد وجدت
فى مصر فى العصر الفاطمى وربما انتقلت إلى اليمن من مصر فى عهد
الدولة الصليحية نظرا للروابط القوية والعلاقات الجيدة بين الفاطميين
والصليحيين فى اليمن فى القرن الخامس الهجرى نظرا لانتمائهما لمذهب
واحد.

٣- الأرفف الجصية :

إلى جانب استخدام الجص فى عمل الستائر وتحلية الجدران استخدم
فى عمل العديد من الأرفف فى أعلى جدران الغرف من الداخل وعلى
ارتفاع قامة الإنسان بغرض وضع بعض أدوات الزينة عليها كالتحف
والزهريات بالنسبة للديوان أو المخرج أو أدوات الزينة والأدوات الأخرى
فى الغرف كل حسب وظيفتها، ويختلف طول وشكل الأرفف الجصية
من مكان إلى آخر حيث يتراوح طولها ما بين ٥٠ - ٧٠ - ١٢٠ سم
وبعضها يأخذ شكل زاوية الغرفة، ويتم عمل هذه الأرفف بأن تثبت
قضبان حديدية فى الجدار بحيث تبرز عنه بحوالى ١٥ سم والمسافة بين
كل قضيب وآخر حوالى ٥ سم ثم يتم تغطية القضبان بخلطة الجص من
أعلى وأسفل بحيث تختفى القضبان تماما ثم يترك الجص ليجف قليلا ثم
يسوى (بالبروة).

KRESWELL K. A. C. A Short Account of early Muslim Architecture - (١)
culture; Second, Published 1989, by the American university in Cairo,
printed in Great Britain, P. 404 -- 405.

ويتدلى من الطرف البارز من الرف زخارف جصية مفرغة لعناصر نباتية كالأوراق والزهور أو عناصر حيوانية كالطيور الصغيرة وكذلك الطاووس إلى جانب الأسود والبعض الآخر بعناصر كتابية قرآنية وأدبية .

ولا تخلو غرفة من غرف المنزل من وجود مثل هذه الأرفف حتى المطابخ والحمامات وذلك لكى توضع عليها مستلزمات المكان سواء أكانت تحف أم أدوات زينة أم أدوات صغيرة أم أدوات تنظيف .

الخاتمة

بعد أن انتهيت من البحث ووضعت فيه عصارة الجهد المبذول يمكن إيجاز أهم النتائج التي توصلت إليها خلال الدراسة ومن أهمها:

١ - تميزت منازل صنعاء بطابع معمارى فريد وأصيل يرجع فى أصوله إلى عصور ما قبل الإسلام من حيث تعدد الطوابق وأسلوب البناء وزخرفة الواجهات .

٢ - تتشابه تخطيطات المنازل الصنعائية إلى حد كبير من حيث التقسيمات الداخلية ومساحات الوحدات ومسمياتها ووظائفها .

٣ - استخدام مادة الحجر فى بناء الاساسات والطابقين الأرضى والأول لتحمل الضغط الطارد عليها من الطوابق العلوية وكذلك لتقاوم انحدار السيول الشديد من الجبال ومروره فى الشوارع وكذلك لتقاوم رطوبة الأرض نظرا لكثرة أمطار اليمن .

٤ - استغلال حركة الشمس صيفا وشتاء فى عملية توزيع الوحدات السكنية على واجهات الدار .

٥ - تقسيم المدينة إلى حارات (احياء) وكل حارة تكون مجموعة من المنازل تحيط بيستان يسمى المقشامة والذي يعتبر متنفسا لساكنى الحى وكذلك لامداد السكان بما يحتاجونه من الخضروات .

- ٦ - تتميز منازل صنعاء بوجود غرفة فى اعلى المنزل تعرف باسم المنظر أو المفرج مخصصه للراحة والقيولة لأفراد الأسرة والأقارب .
 - ٧ - تخصيص طابق للنساء وآخر لاقامة الرجال الذين لم يتزوجوا بعد أما الرجال المتزوجون فيخصص لكل منهم طابق خاص .
 - ٨ - استخدام الجص فى تكسية الجدران من الداخل لما له من خاصية اكتساب الحرارة وتدفئة المنزل وكذلك تحمية الزخارف فى الواجهات الخارجية لظهار جمالها .
 - ٩ - تغطية أرضيات الحمامات وسطح المنزل بمادة القضاض وهى مادة عبارة عن خليط من الجص والتورة والنيس ومواد أخرى بحيث عندما تجف تصبح صلبة صعبة الاختراق وهى تشبه مادة الخافقى فى مصر .
 - ١٠ - بناء المطبخ الرئيسى فى أعلى الدار حفاظا على حرمة النساء وكذلك حتى لا تتسرب ابخرة الطعام ودخان الأفران إلى بقية الغرف .
 - ١١ - تخصيص غرفة كبيرة للراحة وتناول القات مع الاصدقاء تعرف باسم الديوان وكذلك تخصيص حجرة أخرى تسمى مكان الوسط لاجتماع العائلة .
 - ١٢ - استخدم المعمار اليمنى العديد من المصطلحات المعمارية والفنية المحلية التى ترجع أصولها إلى ما قبل الإسلام مثل : « المنظر، القمرية، الجبأ (السطح) المردم (العتب) .
- تلك كانت أهم النتائج التى امكننى التوصل إليها وتلك نظرة عامة عن مدينة صنعاء الماضى والحاضر صنعاء التى حافظت على طابعها المعمارى المتميز إلى ما قبل ثلاثين عام حينما كانت بلاد اليمن بلدا مجهولا لمعظم بلدان العالم .

قائمة المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم

أولا : المصادر العربية

(٢) ابن بطوطة ، محمد عبد الله (ت ٧٧٩ هـ) : رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة ، بدون تاريخ .

(٣) ابن خردادذنة ، أبو القاسم عبد الله (ت ٢٧٢ هـ) : المسالك والممالك، طبعة ليدن ١٩٨٩ م .

(٤) ابن رسته ، أحمد بن عمر : الاعلاق النفسية ، طبعة بالافوست عن طبعة ليدن ١٨٩١ هـ .

(٥) ابن سعيد المغربي ، على بن موسى بن محمد (ت ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م) بسط الأرض في الطول والعرض ، تحقيق خوان قرنيط خنيس نطوان ١٩٥١ م

(٦) ابن الجاور ، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماه تاريخ المستبصر

تصحيح : اوسكر لونفرين ، منشورات المدينة بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية
١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .

(٧) الرازى ، أحمد بن عبد الله الصنعاني (ت ٤٦٠ هـ) : تاريخ مدينة
صنعاء ، تحقيق د . حسين عبد الله العمرى ، دار الفكر العربى ، بيروت ،
دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م

(٨) السياغى ، حسين أحمد : قانون صنعاء فى القرن الثانى عشر الهجرى ،
صنعاء .

(٩) الهمدانى ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٥٠ م /
٣٦٠ هـ) : الاكلیل ، عشرة أجزاء ، الجزء الثامن ، تحقيق محمد بن على
الاکوع الطبعة الرابعة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

ثانيا : المراجع العربية

(أ) كتب مؤلفة

(١٠) أ . ف . ل . بیستون وآخرون : المعجم السبى (سبى ، المجلى ،
فرنسى ، عربى) ، منشورات جامعة صنعاء ، الجمهورية اليمنية ، دار
نشریات بیترز لوفان الجديدة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

(١١) أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، مطابع البادية للاؤفست ،
الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

(١٢) أحمد شلبى (د) : موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ،
١٠ أجزاء ، الجزء السابع مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٥ م .

- (١٣) أمين الريحاني : ملوك العرب ، المجلد الأول ، الجزء الأول .
- (١٤) بالوم كوستا : صنعاء - ضمن كتاب المدينة الاسلامية ، ترجمة أحمد محمد تعلب مقالات مختارة من حلقة التدارس التي عقدت في مركز الشرق الأوسط التابع لكلية الدراسات الشرقية ، جامعة كمبودج ، المملكة المتحدة ، نشر اليونسكو السيكمور - فجر - أشرف على النشر . ب - سرجنت .
- (١٥) حسن الباشا (د) : مدخل إلى الآثار الاسلامية ، دار النهضة المصرية ، ١٩٨١ م .
- (١٦) ربيع حامد خليفة (د) : الفنون الخزفية اليمنية في العصر الاسلامي ، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- (١٧) سرجنت ر . ب : الطبقات الاجتماعية في شبه الجزيرة العربية ، ضمن كتاب المدينة الاسلامية ترجمة أحمد محمد تعلب ، مقالات مختارة من حلقة التدارس التي عقدت بمركز الشرق الأوسط التابع لكلية الدراسات الشرقية ، جامعة كمبودج ، المملكة المتحدة ، نشر اليونسكو ، السيكمور - فجر .
- (١٨) سعاد ماهر محمد (د) : العمارة الاسلامية على مر العصور ، جزآن ، دار البيان العربي ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ م .
- (١٩) الفنون الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ م .
- (٢٠) محمد عبد العال أحمد (د) : الايوبيون في اليمن (مع مدخل في تاريخ اليمن الاسلامي إلى عصرهم الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ م .

(٢١) محمد عبد العزيز مرزوق (د) : الفنون الزخرفية فى العصر العثمانى ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ .

(٢٢) مصطفى عبد الله شبيحه (د) : مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية
فى الجمهورية اليمنية ، وكالة سكرين الدولية القاهرة ، الطبعة الأولى ،
١٩٨٧ م .

(٢٣) يوسف محمد عبد الله (د) : أوراق فى تاريخ اليمن وآثاره ، جزاءن ،
الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٥ م وزارة الاعلام والثقافة ، صنعاء .

(ب) أبحاث ومقالات منشورة فى مجلات :

(٢٤) إسماعيل بن على الأكوخ : لمحة تاريخية عن صنعاء ، مجلة الاكليل ،
العدد الخامس ، سنة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م ، وزارة الاعلام والثقافة صنعاء ،
الجمهورية اليمنية .

(٢٥) زيد بن على عنان : صنعاء حاراتها وآبارها وشوارعها ومساجدها
وأسواقها وألعابها مجلة الاكليل ، العدد الثانى والثالث ، سنة ١٩٨٣ م ،
وزارة الإعلام والثقافة صنعاء ، الجمهورية اليمنية .

(٢٦) شيرلى كى : الفن المعماري اليمنى ، ترجمة : أحمد ضيف الله ، مجلة
دراسات يمنية مجلة فصلية تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمنى ،
صنعاء عدد ٣٠ سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

(٢٧) عباس فاضل السعدى (د) : نشأة مدينة صنعاء وتطورها ، مجلة
دراسات يمنية ، مجلة فصلية تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمنى ،
صنعاء ، عدد ٣٤ ، سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .

(٢٨) عبد الرحمن الحداد (د) : التراث المعماري في صنعاء القديمة (برنامج للحماية والتحسين) مجلة دراسات يمنية ، مجلة فصلية تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ، عدد ٢٧ سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

(٢٩) عبد القوى محمد طالب (مهندس) : مميزات المواد المستخدمة في العمارة السكنية بصنعاء القديمة ، مجلة دراسات يمنية ، مجلة فصلية تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء عدد (٣٥) سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

(٣٠) عبد الله حسين الشيبه (د) : مدن يمنية ، مجلة اليمن الجديد ، مجلة شهرية تصدر عن وزارة الاعلام والثقافة ، صنعاء ، العدد ١٢ ، السنة ١٧ - ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .

(٣١) عفيف بهنسى (د) : حماية مدينة صنعاء ، مجلة اليمن الجديد ، مجلة شهرية ، تصدر عن وزارة الاعلام والثقافة ، صنعاء ، عدد ١٢ ، السنة ١٤١٠ ، ١٨ هـ / ١٩٨٩ م .

(٣٢) غازي رجب محمد (د) : البيوت القلاعية في اليمن ، مجلة سومر ، المجلد ٣٧ ، الجزء ١ ، ٢ كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨١ م .

(٣٣)

الستائر الجصية في الفن العربي اليمني (العقود اليمنية) مجلة دراسات يمنية مجلة فصلية تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ، عدد ٢٨ سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

(٣٤) محمد طلعت الدالي (د) : خصائص العمارة الاسلامية وتميز المعمار اليمني ، مجلة دراسات يمنية ، مجلة فصلية تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ، عدد ٣٥ ، سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

- (٣٥) مصطفى عبد العال تمام : مدينة صنعاء ومسيرة التطور الاستيطاني الحضري ، مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، عدد ٨ ، سنة ١٩٨٨ م .
- (٣٦) يوسف محمد عبد الله (د) : صنعاء المدينة العربية الاسلامية ، نبذة عن تاريخها ودعوة إلى صيانتها ، مجلة الاكليل ، مجلة فصلية تصدر عن وزارة الاعلام والثقافة ، صنعاء ، العدد الثاني ، ١٩٨٦ م .

ثالثا : المراجع الأجنبية :

- (37) **CRESWELL K . A . C . ,** : A Short account of early Muslim Architecture, Second Published 1989 by The American University in Cairo printed in Great Britain .
- (38) **GUILLEMETTE ET PAUL BONNENFANT** : L'Art du bois a Sana'a Architecture do Mestique, Center de Recherches Sur L'orient Arabe Contemporian Aix en Provence Volum I , 1981 .
- (39) **LEWCOCK, RONALD**: The old wolled City of San'a Second Imprassion 1981 , Unesco , Printed In Belgium.
- (40) **RATHJENS , CARL UND WISSMAN , HERMANN** V. Sana'a Eiue Súd Arabische Stadt Land Scheft, Zeitschrift Cler Gesell Sheft Dúr - Erdkunde Zuberlin , 1929 .
- (41) **SERJENT R . B . AND RONALD LE WCOCK** : Sana'a an Arablan Islamic City London World of islam Festival Trust (WIFT) First Published In 1983 .

الفهرس

٥ مقدمة
٩ الفصل الأول : أولا : نشأة مدينة صنعاء
٢٣ ثانيا : الموقع الجغرافى وأثره على بناء المنازل فى صنعاء
٢٨ ثالثا : تخطيط مدينة صنعاء
٤٧ الفصل الثانى :أولا : وصف واجهات المنازل
٥٤ ثانيا : التخطيط العام لمنازل صنعاء
٦٩ الفصل الثالث : أولا : العناصر المعمارية والزخرفية
٧٩ ثانيا : العناصر الزخرفية
٨٧ الفصل الرابع : أولا : التحف الخشبية
١٠٤ ثانيا : التحف المصنوعة من الرخام والجص
١١٣ الخاتمة
١١٥ قائمة المصادر والمراجع

ملحق اللوحات والأشكال



لوحة ٤ : باب اليمن وخلفه بعض منازل صنعاء .



لوحة ٩ : منظر عام لبعض منازل صنعاء .



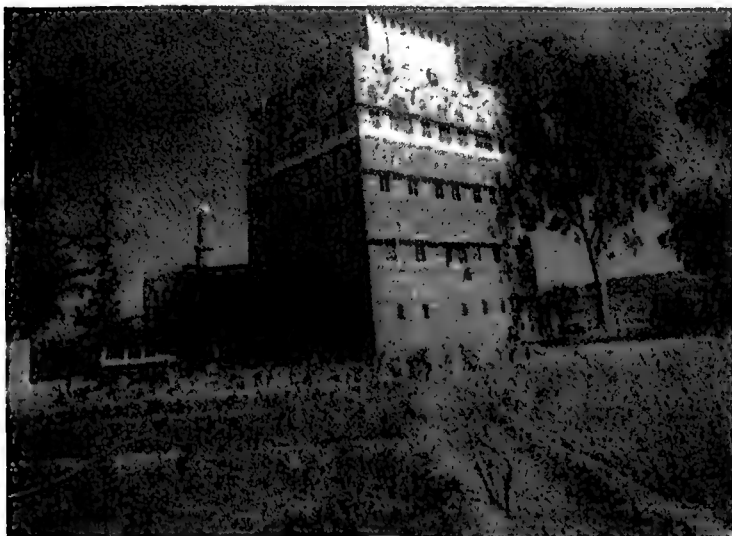
لوحة ١٧ : نموذج لواجهات منازل صنعاء المزينة بالجص



لوحة ١٠ : منظر عام لبعض منازل صنعاء .



لوحة ١٣ : منزل بنيت طوابقه السفلية بالحجر والعلوية بالأجر .



لوحة ١٤ : منزل بنيت طوابقة السفلية بالحجر والعلوية مبنية بالأجر .



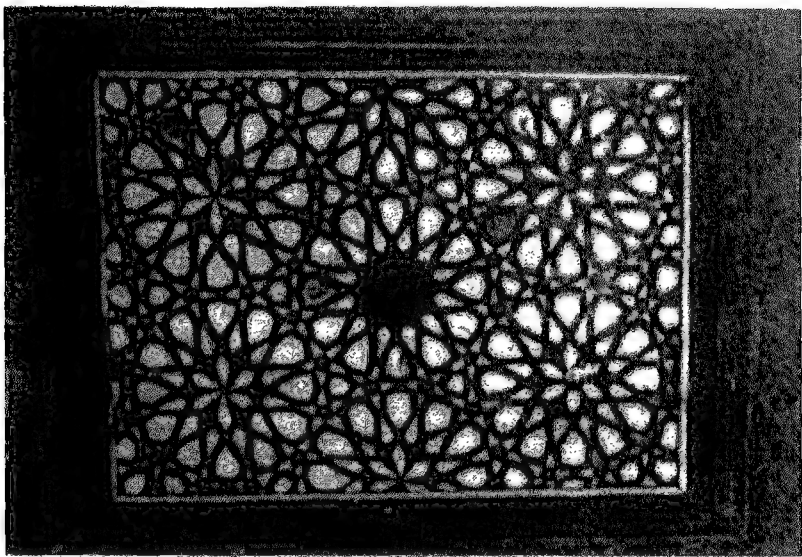
لوحة ٢١ : ديوان بيت، البليلى وتظهر فى اللوحة القمرىات
والأرفف الجصية والكتابة على عتب النافذة .



لوحة ٢٢ : مشربية على أحد المنازل وأعلىها ترى القمرية .



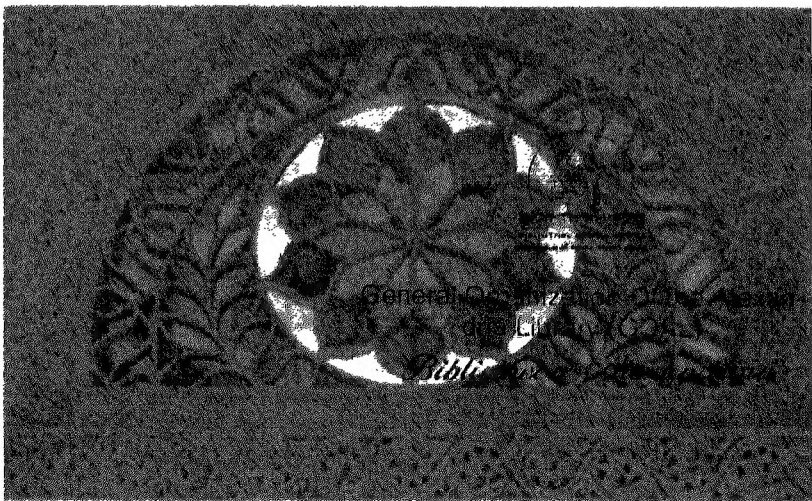
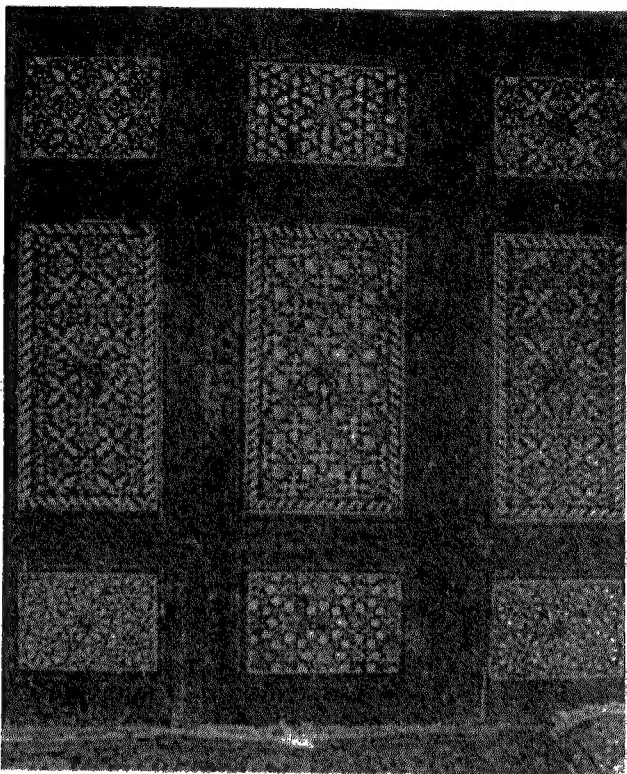
لوحة ٣٢ : حشوة من باب مفرج بيت الشهاري .



لوحة ٣٤ : حشوة من باب مفرج بيت الشهاري .



لوحة ٤٤ : مشربية قصر بنت الإمام : ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م .



لوحة ٤٨ : قمرية على أحد منازل صنعاء .

هذا الكتاب

يمثل هذا الكتاب تاريخ مدينة صنعاء ومنازلها الأثرية، صنعاء الغنية بتراثها المعماري والفني، صنعاء الأصالة، صنعاء التاريخ الضارب بجذوره في أعماق الزمن، صنعاء الرمز العربي للتوحّد.

إنها صنعاء بناؤها وتفردها المعماري النموذج الأمثل لعمارة المدن الإسلامية والتي من راسها تحتفظ بثوارثها الضيقة تطل عليها أسواقها المتخصصة من خلال الشوارع المفتوحة في الطوائف الأرضية للمنازل.

صنعاء المخطط النموذج الفني لآثار العمارة والفنية.

إن كان نوع من عمارة مدينة صنعاء ما يحدّد هويتها وأصلها لثروات الناس بخططها المعمارية السليمة والدينامية والحيوية والالتفاتية والاصلاحية وهذه منازلها نموذجاً حريصاً لآثار اليمن سواء من حيث التخطيط المعماري أو البناء العجيب في الشكل والبناء الجميل لأجسام المنازل المبنية بالحجارة الصلبة والطينية.

إن هذا الكتاب هو محاولة لجمع ما يمكن من معلومات عن تاريخ صنعاء ومنازلها الأثرية، وهو محاولة لجمع ما يمكن من معلومات عن تاريخ صنعاء ومنازلها الأثرية، وهو محاولة لجمع ما يمكن من معلومات عن تاريخ صنعاء ومنازلها الأثرية.